

الشيخ عبد المحمد كساب

خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ

يَوْمَ الْجُمُعَةِ

حقوق الطبع محفوظة للناسخ

دار البشير  
القاهرة

دار البشير - القاهرة  
للطباعة والنشر والتوزيع

١٦ طريق المعادي الزراعي من ب. ١٦٩ المعادي ٥. ٢١٨٧٣٦٨

## مقدمة الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، إنه من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . وأشهد أن سيدنا ونبينا وصلياً وحبيبنا محمداً رسول الله ، جامعاً بكتاب كالشمس في مناجها ، وبسنة كالقمر إذا تلاها ، فترى تبعهما عاش في ضوه النهار إذا جلاها ، ومن أعرض عنهما تخبط في ظلمة الليل إذا بفساها . صلى الله عليك يا علم الهدى ما هبت السائم وما ناحت على الأيك الحمام .

أما بعد ..

قد أقام الله دينه الحنيف على دعائم مستظل ثلثة تقاطع الجوزاء وتزاحم الشمس في الجلاء ، مهما اختلف المألوان وتماكب الجنديان ، وتلك الدعائم هي القرآن والسنة والجمعة ورمضان وعرفات والبيت الحرام . وإن يستطيع أحد أن ينال من الإسلام وتلك التراسي الشامخات والأعلام الشاهقات تمتد إلى عنان السماء .

وهذا الكتاب بحثنا عن خير يوم طلعت فيه الشمس وهو يوم الجمعة ، حيث يترجى فيه المسلمون إلى بيوت الله دون أن تروى عليهم تذاكر دعوة أو يمدح أحد بتوزيع المكافآت ، إنما يتوجهون استجابة لنداء الولد الديان : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَوَدَّعْتُمْ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ) .

(جمعة : ١)

قال رسول الله ﷺ :

« لَا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَيُطَهِّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ ظَهْرِهِ ، وَيَلْبَسُ مِنْ دُھْنِهِ أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبٍ بِيَسْتِهِ ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ الثَّيْبَيْنِ ، ثُمَّ يَصَلِّي مَا كَتَبَ لَهُ ، ثُمَّ يَتَصَبَّأُ إِذَا تَكَلَّمَ الْإِمَامُ ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى » .

( أخرجه البخاري في صحيحه عن سلمان الفارسي )

وإذا رأيت المسلمين في هذا اليوم حصبهم لزلزلاً منثوراً ، تتألق وجوههم جلالاً وجمالاً وكمالاً ، سيمتعهم في وجوههم من أثر السجود ، تراهم زكماً ساجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ، يجلسون في أحب وخلق وخشوع وإنصات إلى خطيب الجمعة : يُشخص الداء ويصف الدواء ويوجه ويُرشد ويُعلم ويُنير الطريق ، فإذا ما قضيت الصلاة انتشروا في الأرض يبتغون من فضل الله .

وهل الإسلام إلا قيادة رعيادة وونام وسلام وفضاء وجهاد ، إنه اليوم الثقلان وجدد المسلمون فيه الطاقات الروحية ليعيشوا عليها بقية أيام الأسبوع ، تزيدهم الصلوات الخمس نوراً وضياءً وبهاءً : ( قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ \* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاجِلُونَ ) (المؤمنون : ١-٤)

عبد الحميد كشك

## الفصل الأول

### في رحاب سورة الجمعة

سورة الجمعة سورة مدنية .

عدد آياتها : إحدى عشرة .

وسُميت سورة الجمعة لاشتغالها على أحكام « صلاة الجمعة » التي فرضها الله على المؤمنين .

وقد كان ﷺ - كما أخرج مسلم وأبو داود والنسائي عن ابن عباس - يقرأ في الجمعة سورهما : « إذا جاءك المنافقون » .

وأخرج ابن حبان والبيهقي عن جابر بن سمرة أنه قال : كان ﷺ يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة « قل يا أيها الكافرون » و « قل هو الله أحد » وكان يقرأ في صلاة العشاء الأخيرة ليلة الجمعة سورة الجمعة والمنافقون . وفي ذلك دلالة على مزيد شرف هذه السورة .

### مقصود السورة إجمالاً

هذه السورة الكريمة ذُكر فيها غير كتاب أنزل ، وغير نبي أرسل ، وغير أمة أخرجت للناس ، وغير يوم طلعت عليه الشمس .

وتناولت السورة الكريمة بعثة خاتم الرسل محمد بن عبد الله ﷺ ، وبيّنت أنه الرحمة المهداة والنعمة المسداة والسراج المنير ، أنقل الله به الإنسانية من ظلام الشرك والضلال .

سورة الجمعة

### تفسير المفردات

( الأئمين ) : العرب للمعاصرين للنبي ﷺ ، سُموا بذلك لاشتغالهم بالأئمة وهي عدم القراءة والكتابة .

( بركتهم ) : من التركة وهي التضرع من ذنوب الشرك والمعاصي .

( أسفاراً ) : جمع سفر وهو الكتاب الكبير .

( هادوا ) : تدبوا باليهودية .

### التفسير

قوله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُ فِي مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْحَلِيمُ ﴾ العزيز الحكيم .

تدبر تعالى أنه يسبح له ما في السموات وما في الأرض ، أي من جميع المخلوقات فاعلمها وحاسدها ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ ( الإسراء : ٤٤ )

وصفة المضارع ﴿ يُسَبِّحُ ﴾ لإفادة التجدد والاستمرار فهو تسبيح دائم لله الكبير المتعال . ﴿ الْمَلِكُ ﴾ أي هو مالك السموات والأرض المتصرف فيها بحكمه . ﴿ الْحَلِيمُ ﴾ وهو سبحانه المقدس أي المنزه عن النقائص لوصف بصفات الكمال والجلال . ﴿ العزيز الحكيم ﴾ أي العزيز في ملكه القادر الغالب القاهر . ﴿ الحكيم ﴾ في أموره وأفعاله ، والحكيم هو الذي يضع الأشياء في مواضعها ، ولا يهتره عيب أو زلل . ونحن نلاحظ أن العزة وصف قوة وقدره ، والحكمة وصف عظم وإتقان ، والقوة مظنة الفسوة ، والحكمة موطن الإنصاف والإحسان ، فغالب القرآن وصف العزيز ، بوصف الحكيم ، لتعلم أن عزة الله حرة حكيمة ، لا جور فيها ولا ظفان . .

ثم تحدثت السورة عن اليهود والنصارى عن شريعة الله ، حيث كُتفوا بالعمل بأحكام التوراة ولكنهم أعرضوا ونبلوها وراء ظهورهم ، وضربت مثلاً لهم بالحمار الذي يحمل على ظهره الكتب الكبيرة الثقيلة ولكنه لا يناله منها إلا العناء والتعب ، وذلك نهاية الشفة والنعاسة .

ثم تناولت أحكام صلاة الجمعة ، فدعت المؤمنين إلى المسارعة لأداء الصلاة ، وحُرمت عليهم البيع وقت الأذان ووقت النداء لها ، وشُحنت بالتحذير من الانشغال عن الصلاة بالجارة واللغو ، كحال المنافقين الذين آهنتهم أموالهم وأولادهم عن ذكر الله وعن الصلاة .

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْحَلِيمُ الْعَزِيزُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ سُورًا كَرِيمًا وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كُنُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لِنَّا لَلْحَقُّوهُمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ الَّذِينَ خَسِلُوا الزُّرْةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْجِمَارِ تَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ رَضِيتُمْ أَنْكُمْ أَوْ لِبَاءُ فُتُورِين مَرْنِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَسْتَرْوَنَّهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَرْشِ وَالشَّهَادَةُ فَيُنْشِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَقُولُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَمِنَ ضَلَالٍ عَمِينٍ ﴾ .

أى هو جل وعلا يرحمه وحكمته الذى بعث في العرب رسولا من جملتهم ، أميا مثلهم لا يقرأ ولا يكتب . فإن قيل : ما وجه الامتحان بأن بعث نبيا أميا ؟ فالجواب : لينفى عنه سوء الظن في تعليمه ما دعى عليه من الكتب التى قرأها والجهل التى تلاها .

قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَحِطُ بِمِثْلِكِ إِذَا لَأَزِيدَنَّ السَّجَّادِينَ . بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ أُولُوا الْعِلْمَ ... ﴾ .

(المكثبات : ١٨ ، ١٩)

وقوله : ﴿ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ﴾ مع كونه أميا مثلهم . لم يفتقد منه قراءة ولا تعلم يتلو عليهم القرآن الكريم . ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ أى يعملهم على ما يصرون به أزكيا طاهرين من عيائث المفائيد والأعمال . ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ ﴾ يعنى القرآن . ﴿ وَالْحِكْمَةَ ﴾ قال الحسن : الحكمة : السنة . ﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَمِنَ ضَلَالٍ عَمِينٍ ﴾ من الشرك وحيث الجاهلية وهو بيان لشدة افتقارهم إلى من يرشدهم .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : « وذلك أن العرب كانوا قديما متمسكين بدين إبراهيم الخليل عليه السلام فذلوه وغشوه وقلوه وخالفوه ، واستدلوا بالتوحيد شركا وباليقين شكاً ، وابتدعوا أشياء لم يأذن بها الله . وكذلك أهل الكتاب قد بدلوا كتبهم وحرفوها وغيروها وأولوها ، فبعث الله محمداً صلوات الله وسلامه عليه بشرع كامل شامل لجميع الخلق ، فيه هدايتهم والبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمر معاشهم ومعادهم ، والدعوة لهم إلى ما يقربهم إلى الجنة ورضا الله عنهم ، والنهي عما يقربهم إلى النار وسخط الله تعالى ، حاكم فاصل لجميع الشبهات والشكوك والريب في الأصول والفروع . »

وجمع له تعالى - وله الحمد والمنة - جميع المحاسن من كان قبله ، وأعطاه

ما لم يعط أحد من الأولين ، ولا يعطيه أحد من الآخرين ، فصلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين ، (١) .

سدى أبو القاسم :

أنت الذى فاذ الجيوش مبطما عهد الضلال وأدب السوء  
وسموت بالبشر الذين تعلموا سقى الشريعة فارتقوا سقاء  
سعدت بعينك السموات العلوى والأرض صارت جنة خضراء

...

قوله تعالى : ﴿ وَآخِرِينَ مِنْهُمْ لَنَا يُلَاحِظُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

أى : وبعث الرسول ﷺ إلى قوم آخرين ، لم يكونوا في زمانهم وسببوت بعدهم ، وقد جمع من أسلم إلى يوم القيامة ، لأن رساله ﷺ عامة للعرب ولغيرهم إلى يوم الدين .

أخرج البخارى في صحيحه عن أنس بن مالك عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : « كنا جلوسا عند النبي ﷺ إذ نزلت عليه سورة الجمعة ، فلما قرأ : ﴿ وَآخِرِينَ مِنْهُمْ لَنَا يُلَاحِظُوا بِهِمْ ... ﴾ قال رجل : من هؤلاء يا رسول الله ؟ فلم يراجعه النبي ﷺ ، حتى سأله مرة أو مرتين أو ثلاثا . قال : « وفيما سلمان الفارسي . قال : فوضع النبي ﷺ يده على سلمان ثم قال : لو كان الإيمان عند الثريا لأشد رجالا من هؤلاء . » (والدنيا : نجم معروف) .

وقد أخرج مسلم الحديث مجردا عن السبب عن أنس بن مالك عن أبي هريرة رفعه : « لو كان الذين عند لولا لذهب رجال من أبناء فارس حتى يتناولوه . »

وقال ﷺ : « لَيُشْفَعَنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وتر إلا أدخله الله في هذا الدين ، يعز عزير أو بدل ذليل ، عزأ يعز الله به دين الإسلام ، وبذل بذل به الكفر ، رواه الجماعة . »

...

(١) تفسير ابن كثير ( ٤ / ٣٦٣ ) .

قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ لِفَضْلِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .  
 ﴿ ذَلِكَ ﴾ إشارة إلى ما تقدم من كونه عليه الصلاة والسلام رسولاً في  
 الأمين ومن بعدهم معلماً ومزكياً ، وما فيه من معنى البعد للعظيم ، أي ذلك  
 الفضل العظيم ﴿ لِفَضْلِ اللَّهِ ﴾ وإحسانه جل جلاله ﴿ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ من  
 عباده تفضلاً ﴿ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ الَّذِينَ حُمِّلُوا الثَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ  
 يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ  
 الظَّالِمِينَ ﴾ .

ضرب مثلاً لليهود لما تركوا العمل بالثوراة ولم يؤمنوا بمحمد ﷺ ﴿ حُمِّلُوا  
 الثَّوْرَةَ ﴾ أي كلفوا العمل بها ﴿ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا ﴾ أي لم يعملوا بها ﴿ كَمَثَلِ  
 الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ شبههم بالثوراة في أيديهم وهم لا يعملون بها بالحمار  
 يحمل كعباً ، وليس له إلا ثقل الحمل من غير فائدة .

قال ابن القيم رحمه الله في ( إعلام الموقعين ) : « فهذا المثل وإن كان قد ضرب  
 لليهود فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن خرك العمل به ولم يؤدِّ حقه  
 ولم يَرَعَهُ حق رعايته » .

وقال الفرطلي : « وفي هذا تنبيه من الله تعالى لمن حُمِّلَ الكتاب أن يتعلم  
 معانيه ويعمل بما فيه لئلا يهلكه من الذم ما لحق هؤلاء » .

« ووجه ارتباط الآية بما قبلها تضمنها الإشارة إلى أن ذلك الرسول المبعوث قد  
 بعثه الله تعالى بما نصح به في الثوراة وعلى السنة أنبياء بني إسرائيل ، كأنه قيل : هو  
 الذي بعث البشر به في الثوراة المبعوث فيها النبي الأُمِّيُّ المبعوث إلى أمة آمين ،  
 مثل مَنْ جاءه نعمة فيها وعليته لم لم يؤمن به مثل الحمار » (١) .

﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ الظالمين لأنفسهم بترضيها للعذاب الخالد  
 بسبب تكذيبهم بآيات الله ، والتي من جعلها الآيات الناطقة بنبوِّه محمد رسول الله ﷺ .

(١) روح المعاني ، للألويسي .

قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنِّي رُعِيتُكُمْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ  
 النَّاسِ فَتَمَتُّوا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . وَلَا تَحْمِلُونَهُ أَوْدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَاللَّهُ  
 عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ .

لما أدعت اليهود الفضيحة وقالوا ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُهُ ﴾ (سورة : ١٠٨)  
 ﴿ وَقَالُوا لَنْ نَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾ (سورة : ١١١) ، أمر الله  
 رسوله أن يقول لهم ذلك بشهارة الكذابين : ﴿ إِنِّي رُعِيتُكُمْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ  
 النَّاسِ فَتَمَتُّوا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أي إن كنتم صادقون في دعواكم فتمتوا  
 الموت لتصبروا إلى ما يصير إليه أولياء الله ، فلا أولياء عند الله الكرامة .

﴿ وَلَا تَحْمِلُونَهُ أَوْدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ ﴾ إخبار بحالهم المستقبل وهو عدم  
 ثبوتهم الموت ، ول الحديث : « والذي نفسي بيده ، لو تخنوا الموت ما بقى على  
 ظهرها يردى إلا مات » . فلم يتمنه أحد منهم ، وما ذلك إلا لأنهم كانوا موثقين  
 عندته ﷺ ، نعموا أنهم لو تخنوا ماتوا من ساعتهم وخلفهم الوعيد ، وهذه  
 إحدى معجزاته ﷺ .

وقوله : ﴿ مَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ ﴾ أي بأبواب التفتي بسبب ما قدَّمت أَيْدِيَكُمْ من  
 الآثام والمعاصي والشرك بالله . ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ أي عالم بهم وما صدر  
 عنهم من ذنوب الظلم والمعاصي .

قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِ الْمَوْتَ الَّذِي تَتَرَوْنَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى  
 عَالَمِ الْعِيبِ وَاشْهَادِهِ قَبِيحُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

أي قل لهم يا محمد : إن هذا الموت الذي يهربون منه وتخافون أن تصبوه حتى  
 يلسانكم ﴿ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ﴾ أي فإنه آتيكم لا محالة لا ينفكمم الفرار منه ﴿ ثُمَّ  
 تُرَدُّونَ إِلَى عَالَمِ الْعِيبِ وَاشْهَادِهِ ﴾ أي ثم ترجعون إلى الله الذي لا تغنى عليه  
 عاقبة ﴿ قَبِيحُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أي فيجازيكم على أعمالكم . وفي الآية  
 تهديد ووعيد .



ابن مالك قال : « كان أول من صلى بنا الجمعة قبل تقديم رسول الله ﷺ المدينة أسعد بن زرارة ... » الحديث .

و فرسل ابن سمرين بدل علي أن أولئك الصحابة اختاروا يوم الجمعة بالاجتهاد . ولا يمنع ذلك أن يكون النبي ﷺ غلبه بالوحى وهو بمكة فلم يتمكن من إقامتها ، ولذلك جمع بهم أول ما قدم المدينة ﷺ كما حكاه ابن إسحق وغيره . وعلى هذا فقد حصلت الهداية للجمعة بمهتئ ابيان والتوفيق .

وقيل : الحكمة في اعتبارهم الجمعة وقوع خلق آدم فيه ، والإنسان إنما خلق للمادة فحاسب أن يشغل بالمادة فيه ، ولأن الله تعالى أكمل فيه الموجودات وأوجد فيه الإنسان الذي يتفحص بها فحاسب أن يشكر على ذلك بالعبادة فيه .

وقد أمر الله تعالى المؤمنين بالاجتماع لعبادته يوم الجمعة فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا بُدِئَ الصَّلَاةُ فَاسْتَعِزُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

قال القاسمي في (محاسن التأويل) :

وقال الرازي : وجه تعلق آية الجمعة بما قبلها هو أن الذين هادوا يقرّون من الموت لشع الدنيا وطيباتها ، والذين آمنوا يبيعون ويشترّون لشع الدنيا وطيباتها كذلك ، فيبهم الله بقوله ﴿ فَاصْبِرُوا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ أي إلى ما ينفعكم في الآخرة ، هو حضور الجمعة ، لأن الدنيا ومناجها فانية ، والآخرة وما فيها باقية .

ووجه آخر في التعلُّق : قال بعض العلماء : قد أخطأ الله قول طهود في ثلاث :  
 اضفروا بأنهم أولياء الله وأحبواوه فكلَّهم بقوله ﴿ فَصَلُّوا مَوْثٌ ﴾ ، وبأنهم أهل  
 الكتاب والعرب لا كتاب هم ، فنبَّههم بالحمارة يحمل أسفاراً ، وبأنست وليس  
 للمسلمين مثله ، فشرَّع الله للمسلمين الجمعة . اهـ .

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لُرِدِي لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْتَغْزُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ .

أى بامعشر المؤمنين المصطفين بالله ورسوله إذا سمعهم المؤذن بتأدي الصلاة

الجمعة ويؤذن لها ﴿ فاستقوا إلى ذكر الله وفذروا البيع ﴾ أى فامضوا إلى سماع الخطبة وأداء الصلاة واتركوا البيع والشراء ، اتركوا التجارة الخاسرة واستقوا إلى التجارة الربحية .

قال المفسرون : والسعي في الآية بمعنى المشي لا بمعنى الجري ، والحديث : ( إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون وتأتوها وأنتم تسعون ) ، وعليكم السكينة .  
قال الحسن : ( والله ما حر بالسعي على الأقدام ، ولكنه سعى بالقلوب وسعى بالنية وسعى بالرغبة ) ، ولقد نُهوا أن يتأوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار .  
وقال قتادة : ( السعي أن تسعى بفيلك وعملك ) .

وقوله تعالى ﴿ وَتَزَوَّجُوا الْيَتَامَى ﴾ قال القرطبي : ومنع الله عز وجل منه عند صلاة الجمعة وخبره في وقتها على من كان مخاطباً بفرضها . والبيع لا يخلو عن شراء فاكفى بذكر أحدهما . ونحو البيع لأنه أكثر ما يشتغل به أصحاب الأسواق . ومن لا يجب عليه حضور الجمعة فلا يفتى عن البيع والشراء .

قوله تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ عَمَلٌ لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُفْعَلُونَ ﴾ أى ذلك يسمى إلى مرضاة الله وترك البيع والشراء غير لكم وأنفع من تجارة الدنيا ، فإن الآخرة هي دار القرار ، قال تعالى : ﴿ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا اللَّهُ أَنْ تُزْفَعُوا فِيهَا أَسْمُهُمْ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ - رَجُلًا لَا لَّهُمْ فِيهَا مَحْأَرَةٌ وَلَا يَتَّبِعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَلَقَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ - لِيَجْزِيَهمَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَرْبِّحَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .  
( البور : ٢٩ - ٣٨ )

قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا فُعِثَ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ ﴾ .

هذا أمر إلهي ، يقول تعالى : إذا فرغتم من الصلاة فانتشروا في الأرض للتجارة والتصرف في حوائجكم ﴿١٠﴾ واجتلبوا من فضل الله ﴿١١﴾ أي من رزقه .



وكان جراك بن مالك إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال : « اللهم إني أجيئُ دعوتك ، وصليتُ فربحتك ، وانتشرت كما أمرتني ، فأورقني من فضلك وأنت خير الرازقين » .

قوله تعالى : ﴿ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ أي بالعامة واللسان ، وبالشكر على ما به أنعم عليكم من تنويع لأداء التراتيل ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ أي كي تفلحوا وتفوزوا بسعادة الدارين .

قال سعيد بن جبير : « الذكر طاعة الله تعالى ، فسبح أطاع الله فقد ذكره ، ومن لم يُطعهُ فليس بذاكر وإن كان كثير التسبيح » .

قال الشيخ الصابوني : « روى قوله تعالى ﴿ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ لطيفة ، وهي أن الله عز وجل أمر بالسمي في طلب الرزق والاستغفار بالتجارة ، ولما كان هذا قد يسوق الإنسان إلى الغفلة ، وربما دفعته الرغبة في جمع المال إلى الكذب والغش والاحتيال ، أمر المسلم أن يذكر الله تعالى ، ليعلم أن الدنيا ومناعمها دنية ، وأن الآخرة وما فيها باقية ، وأن ما عند الله خير وأبقى ، فلا تشغله تجارة الدنيا عن تجارة الآخرة ، كما قال تعالى في وصف المؤمنين : ﴿ وَجَاهٌ لَا تُغْنِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا يَتَّبِعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (هود : ٣٧) وهذا هو السر في الأمر بذكر الله كثيراً ، فتدبره » .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ .

أخرج مسلم عن جابر بن عبد الله : أن النبي ﷺ كان يطلب قائماً يوم الجمعة ، فجاءت عيرٌ من الشام فانقتل الناس إليها حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلاً ، فأنزلت هذه الآية التي في الجمعة : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ... ﴾ الآية .

هذا وقد ذكر أبو داود في مراسيله السبب الذي ترخصوا لأنفسهم في تركه جماع الخطبة فقال : عن مقاتل بن حيان قال : « كان رسول الله ﷺ يصلي الجمعة قبل الخطبة مثل العيدين ، حتى كان يوم الجمعة وانسحب ﷺ بخطب وقد صلى الجمعة ، فدخل رجل فقال : إن وحيه بين خليفة الكشي قديم بتجارة ، وقد كان دحية إذا قدم تلقاه أهله بالدقالب ، فخرج الناس فلم يظنوا إلا أنه ليس في تركه الخطبة شيء ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا ﴾ فقدم النبي ﷺ الخطبة يوم الجمعة وأخّر الصلاة » .

قال السهيلي : « وهذا الخبر وإن لم يُنقل من وجه ثابت فالظن الجميل بأصحاب النبي ﷺ يوجب أن يكون صحيحاً » .

قال العلامة الألويسي في تفسيره (روح المعاني) : « وكان قد أصاب أهل المدينة جوعٌ وغلاءٌ سمر فخاص أولئك المنفقون اشتداد الأمر عليهم بشراء غيرهم ما يُقتات به لو لم ينفقوا ، ولذا لم يتوعدهم الله تعالى على ذلك بالقار أو نحوها ، بل فصارى ما فعل سبحانه أنه عذبهم وعظّمهم ونسحبهم ، لأنه سبحانه كما قال في كتابه : ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ وَجِيماً ﴾ (النحر : ١٠٤) » .

قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ . أي قل لهم يا محمد : إن ما عند الله من الثواب والتبعم المقيم خير مما أصبتموه من اللهو والتجارة ﴿ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ فإنه سبحانه اسعوا ، ومنه عز وجل اسلبوا الرزق ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » . وما أريد منهم من رزقي وما أريد أن يُطعّبوني . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴿ (الذاريات : ٥٦ - ٥٨) » .

والرزاق اسم من أسماء الله الحسنى ، وهو مشتق من مادة الرزق . والرزق رزقان : رزق الأجسام بالأطعمة ونحوها ، ورزق الأرواح بالعلوم والمعارف والإلهامات الصادقة ، وهو أشرف الرزقين ، لأن ثمرته باقية ، ورزق الأبدان إلى مدة قربة الأمد .

والرزاق هو خالق الأرزاق ، المفضل بإيصالها إلى خلقه ، المسبب لها الأسباب ، وهو وحده سبحانه مالك الرزق ، ومن علم ذلك أيقن أن رزقه ليس في يد أحد غير الله سبحانه .

فليطمئن المؤمن نفسه وَلْيَقُلْ لَهُ دَائِمًا :

لَا تَجْعَلْنِي لِلرِّزْقِ بِالْمَجْبِلِ الرِّزْقُ فِي اللَّوْحِ مَكْتُوبٌ مَعَ الْأَجَلِ  
قَلْبُ صَبْرُنَا لَكَانَ الرِّزْقُ بِطَلْبِنَا لَكُنْهُ خُلُقُ الْإِنْسَانِ مِنَ عَجَبِ

قال ﷺ : إِنْ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّهُ لَنْ يَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ رِزْقَهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْلِسُوا فِي الطَّلَبِ ، وَلَا يَحْمِلْكُمْ اسْتِطَاءُ الرِّزْقِ عَلَى أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ ، فَإِنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ لَا يُنَالُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ .

أخرجه الحاكم وصححه

وينبغي للمعبد أن يعرف حقيقة وصف الرزاق ، وأنه لا يستحقه إلا الله تعالى ، فلا ينتظر الرزق إلا منه ، ولا يتوكل به إلا عليه .

قيل لأعرابي : من أين تأكل ؟ فقال : الذي خلق الرُّحَى بأنبياء الطلحين ، والذي شَذَقَ الأشدائى هو خالق الأرزاق .

وقيل لحاتم الأصم : من أين تأكل ؟ فقال : من عند الله . فقيل له : الله يُزِلُّ لك دنائهم ودراهم من السماء ؟ فقال : كأن ما له إلا السماء ! يا هذا ، الأرض له والسماء له ، فإن لم يؤتِ رزق من السماء ساقه لى من الأرض . وأنشد :

وكيف أخشأ الفقرَ والله رازقِي ورزقُ هذا الخلقِ لى العسرِ والعسرِ  
تَكُنْ لى بالأرزاقِ للخلقِ كُلِّهِم وللضَّبِّ لى البيداءِ والحدوبِ لى البحرِ

والله سبحانه إذا أراد بمعبده خيراً رزقه علماً نافعاً ، ولساناً ذاكراً ، وبدناً منفقاً متصدقة ، ويكون سبباً لوصل الرزاق الشريفة إلى القلوب بأقواله وأعماله ، وإذا أحب الله تعالى عبداً أكبر جوائز الخلق إليه .

اللهم إِنْ نَسَأْتُكَ عِلْماً نافعاً ، ورزقاً طيباً ، وعيلاً متقبلاً .

## الفصل الثانى

### فضل يوم الجمعة وصلاة الجمعة

#### فضل يوم الجمعة

يوم الجمعة أفضل الأيام وأشرفها .

١ - فقد روى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، ولا تقوم الساعة إلا فى يوم الجمعة » .

٢ - ورواه ابن خزيمة فى صحيحه ، ولفظه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما طلعت الشمس ولا غربت على يوم خير من يوم الجمعة ، هذا الذى له رضى الناس عنه ، قالوا لنا فيه تبع فهو لنا ، واليهود يوم السبت ، والنصارى يوم الأحد ، إن فيه ساعة لا يوافقها مؤمن يحسن بصل يسأل الله شيئاً إلا أعطاه » .

٣ - وعن أبى نوبة بن عبد المنذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله . وهو أعظم عند الله من يوم الأضحى ويوم الفطر ، وفيه خمس خلال : خلق الله فيه آدم ، وأعطى الله فيه آدم إلى الأرض ، وفيه تولى الله آدم ، وفيه ساعة لا يسأل الله فيها العبد شيئاً إلا أعطاه إياه ما لم يسأل حراماً ، وفيه تقوم الساعة ، ما من ملوك مقرب ولا أسماء ولا أرض ولا رباح ولا جبال ولا بحر إلا وغرَّتْهُنَّ من يوم الجمعة » .

رواه أحمد وابن ماجه بلفظ واحد ، ولإسنادهما عبد الله بن محمد بن عنبلى وهو ممن احتج به أحمد وغيره ، وفيه رواه ثقات مشهورون . حكاه المنذرى .



وأبوابها ، مطردة فيها أنهارها متدللة ، فيها ثمارها ، فيها أزواجها وخدمها ، فلبسوا إلى شيء أحوج منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا من كرامته عز وجل وليزدادوا نظراً إلى وجهه ، فذلك دعوى يوم الميزد .

قال الذهبي في كتابه (العلو) : هذا حديث مشهور واقر الطريق أخرجه الإمام عبد الله بن أحمد في كتاب السنة له ، وأخرجه الإمام محمد بن إدريس الشافعي في مسنده ، وقد أخرجه الدارقطني عن طريق حمزة بن واصل المقرئ عن قتادة عن أنس .

٥ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال : فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه ، وأشار بيده يقللها ، رواه البخاري ومسلم ولساناً . ومعنى يقللها : يزيدها ، يرضى بمرز إلى قصرها وعدم كبرها .

٦ - وعن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال في عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : سمعت أباك يحدث عن رسول الله ﷺ في شأن ساعة الجمعة ؟ قال : قلت : نعم سمعته يقول . سمعت رسول الله ﷺ يقول : هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة ، رواه مسلم .

والى هذا القول ذهب جماعة من أهل العلم : ابن تيمية والقرطبي والبيهقي والنووي . قال المحب الطبري : أصح الأحاديث في تعيين الساعة حديث أبي موسى ، وقد صرح مسلم بمثل ذلك .

٧ - وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال : قلت ورسول الله ﷺ جالس : إننا نتجدد في كتاب الله تعالى : في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يصلي يسأل الله فيها شيئاً إلا قضى الله حاجته . قال عبد الله : فأشار إلى رسول الله ﷺ : أو بعض ساعة . فقلت : صدقت ، أو بعض ساعة . قلت : أي ساعة هي ؟ قال : آخر ساعات النهار . قلت : إنها ليست ساعة صلاة ؟ قال : بل إن العبد إذا صلى ، ثم جلس لم يجلسه إلا الصلاة فهو في صلاة .

رواه ابن ماجه وإسناده على شرط الصحيح . أقاده المنذري

٨ - وعن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : يوم الجمعة اثنتا عشرة ساعة ، فيها ساعة لا يوجد عبد مسلم يسأل الله عز وجل شيئاً إلا آتاه إياه ، فاجتمعوا آخر ساعة بعد العصر ، رواه أبو داود والنسائي والبيهقي .

ورأى بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم أن الساعة التي ترجى فيها بعد العصر إلى أن تغرب الشمس ، وبه يقول أحمد وإسحق . وقال أحمد : أكثر الحديث في الساعة التي ترجى فيها إجابة الدعوة أنها بعد العصر . قال : وترجى بعد الزوال .

قال الشوكاني في (نيل الأوطار) :

« ولا شك أن الأحاديث الواردة في كونها بعد العصر أرجح لكبرها واتصالها بالسماع ، وأنه لم يختلف في رفعها ، والاعتناء بكونه قول أكثر الصحابة ففيها أربعة مرجحات . قال حديث أبي موسى مرشح واحد وهو كونه في أحد الصحيحين ثوب بنية الأحاديث ...

وسلك صاحب مدى مستكراً آخر واختار أن ساعة الإجابة منحبة في أحد الشريقتين المذكورتين ، وإن أحدهما لا يعارض الآخر لاحتمال أن يكون بينهما على أحدهما في وقت واحد وآخر في وقت آخر . وهذا كقول ابن عبد البر : ينبغي الاجتهاد في دعاء في الاثنين المذكورين ، وسبق إلى تجويز ذلك لإمام أحمد . قال ابن سير : قد علم أن فائدة الإجابة هذه الساعة ولليلة القدر تحت الدواعي عن الإكثار من الدعاء والدعاء ، ولو رفع البيان لها لا تشكل الدواعي وتركوها ما عساه ، ومعجب بعد ذلك من يتكلم في طلب تعديده .

وقال في موضع آخر : يحسن جمع الأقوال فتكون ساعة الإجابة واحدة منها لا بعينها فيصادفها من اجتهد في جميعها (١) .

### فضل صلاة الجمعة

٩ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من توضأ

(١) نيل الأوطار ( ٣ / ٢٤٢ ) .

فأحسن الوضوء ، ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت ، غُفِرَ له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام ، وَمَنْ مَسَّ الحَصَا فَقَدْ لَغَا .

رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه

### شرح مفردات الحديث

قوله ﷺ ( فأحسن الوضوء ) إحسان الوضوء : غسل الأعضاء ثلاثاً ثلاثاً ، وتقديم الميامن ، والإتيان بسنته المشهورة من التسمية في أوله والترتيب والموالاة ونحو ذلك .

وقوله ( ثم أتى الجمعة ) معنى : خرج من بيته عامداً إلى المسجد للصلاة الجمعة .

وقوله : ( فاستمع ) أى للخطبة ، ومعنى استمع أصغى ونصت للسماع .

وقوله ( وأنصت ) أى سكت ولم يتكلم أثناء الخطبة .

وقوله ( غُفِرَ له ما بينه وبين الجمعة الأخرى ، وزيادة ثلاثة أيام ) وذلك لأن الحسنة بعشر أمثالها .

وقوله ( وَمَنْ مَسَّ الحَصَا فَقَدْ لَغَا ) اللغو في اللغة : الباطل ، فمعنى قوله : فقد لغا ، أى جاء بالباطل وما ليس بحق . قال النضر بن حميل : معنى ( فقد لغا ) أى عجاب من الأجر .

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : ( الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان ، مكفّرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر ) رواه مسلم .

### شرح مفردات الحديث

قوله ﷺ ( مكفّرات ما بينهن ) هذا خبر عن المعطوفات الثلاث ، يعنى أن كلاً منها مكفّر لما يقع بينه وبين الذى يليه ، فكل صلاتين من الصلوات الخمس

مكفّرتان لما يقع بينهما من الذنوب الصغيرة ، وكذلك كل جمعيتين تؤدّيان على وجه مقبول يُكفّر الله بهما ما يقع من الصغائر بينهما ، وكذلك مَنْ صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما وقع منه إلى رمضان الذى يجرى بعده ، وهكذا . فأتمل سعة مغفرة الله عز وجل ، حيث جعل هذه العبادات نافية لما يقع بينهما من الذنوب فضلاً منه ورحمة .

وقوله ﷺ ( إذا اجتنب الكبائر ) وذلك لأن الكبائر لا تكفرها إلا التوبة النصوح بشروطها المعروفة .

٣ - وأخرج البخارى في صحيحه عن سلمان الفارسي قال : قال النبي ﷺ : ( لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهّر ما استطاع من طهّر ويدهن من دهنه أو يمسّ من طيب بيته ، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ، ثم يصلى ما كتب له ، ثم ينصت إذا تكلم الإمام ، إلا غُفِرَ له ما بينه وبين الجمعة الأخرى ) .

### شرح مفردات الحديث

قال ابن حجر في الفتح :

( قوله ﷺ ) ويتطهّر ما استطاع من الطهّر : المراد به المبالغة في التطهير ، ويؤخذ من عطفه على الغسل أن إفاضة الماء تكفى في حصول الغسل ، أو مراد به التنظيف بأخذ الشارب والظفر والعانة .

قوله ( ويدهن ) : المراد به إزالة شعث الشعر به ، وفيه إشارة إلى استحباب التزيّن يوم الجمعة .

قوله ( أو يمسّ من طيب بيته ) : أى إن لم يجد دهنه ، ويحتمل أن يكون ( أو ) بمعنى ( أو ) ، وإضافته إلى البيت تؤذن بأن السنة أن يتخذ المرء لنفسه طيباً ويجعل استعماله له عادة فيُدحَره في البيت . . . وفي رواية أبي داود من الزيادة : ( ويلبس من صالح ثيابه ) ففيه استحباب لبس أحسن الثياب يوم الجمعة .

قوله ( فلا يفرق بين اثنين ) وفي رواية ( لم لم يتخطّ رقاب الناس ) .

وقوله «إِلَّا غَيْرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى» : المراد بالأخرى التي مضت ، لحديث ابن خزيمة ولفظه : «غَيْرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الَّتِي قَبْلَهَا» وفي رواية : «وزيادة ثلاثة أيام من التي بعدها» .

قال ابن حجر : «وثبت بمجموع ما ذكرنا أن تكفير الذنوب من الجمعة إلى الجمعة مشروط بوجود جميع ما تقدم من غسل وتنظيف وتطيب أو دهن ، وليس أحسن الثياب ، والمشي بالسكينة ، وترك التخفُّف والتفرقة بين الاثنين ، وترك الأذى ، والتفُّل ، والإنصات ، وترك اللغو» .

### فضل التكبير إلى صلاة الجمعة

٤ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غَسْلَ الْجَنَابَةِ مِمَّ رَاحَ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَهُ ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً ، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمْعُونَ الذِّكْرَ» .

### شرح مفردات الحديث

قال الخافظ في الفتح :

«قوله ﷺ مَنْ اغْتَسَلَ غَسْلَ الْجَنَابَةِ» : أي غَسْلَ كَمُغْسِلٍ جَنَابَةً . وفي رواية ابن جرير عند عبد الرزاق : «فاغتسل أحدكم كما يغتسل من الجنابة» وظاهره أن التشبيه للكيفية لا للمحكم ، وهو قول الأكثر . وقيل : فيه إشارة إلى الجامع يوم الجمعة ليغتسل فيه من الجنابة ، والحكمة فيه أن تسكن نفسه في الرواح إلى الصلاة ولا تمتد عنه إلى شيء براء ، وفيه حمل المرأة أيضاً على الاغتسال ذلك اليوم . والصواب الأول .

قوله «مِمَّ رَاحَ» : زاد أصحاب الموطأ عن مالك : «في الساعة الأولى» .

قوله «فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَهُ» : أي تصدق بها متقرباً إلى الله . وقيل : أراد أن للمباور في أول ساعة نظير ما لصاحب البدنة من الثواب من شُرْع له القربان . لأن القربان لم يُشْرَع لهذه الأمة على الكيفية التي كانت للأمة السالفة . وفراد بالبدنة هنا الناقة بلا خلاف .

وقوله «كَبْشًا أَقْرَنَ» أي له قرنان ، ووصفه بالأقرن لأنه أكمل وأحسن صورة .

قال النووي : «ومنعب الشافعي وجمهور أصحابه وابن حبيب المالكي وجمهور العلماء استحباب التكبير إليها أول النهار ، والساعات عندهم من أول النهار ، والزواج يكون أول النهار وآخره ، قال الأزهرى : لغة العرب الزواج الذهاب سواء كان أول النهار أو آخره أو في الليل . وهذا هو الصواب الذي يقتضيه الحديث والمعنى ، لأن النبي ﷺ أخبر أن الملائكة تكتب مَنْ جاء في الساعة الأولى وهو كالمُهْدَى بدنة ، وَمَنْ جاء في الساعة الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ، وفي رواية السائى السادسة ، فإذا خرج الإمام طلوا الصحف ، ولم يكتبوا بعد ذلك أحداً» .

ومعلوم أن النبي ﷺ كان يخرج إلى الجمعة متصلاً بالزوال وهو بعد اتصال السادسة ، فدل على أنه لا شيء من الهدى والفضيلة لمن جاء بعد الزوال . ولأن ذكر الساعات إنما كان للحث في التكبير إليها والترغيب في فضيلة السبقي وتخصيل النصف الأول وانظارها والاشتغال بالتفُّل والذكر ونحوه ، وهذا كله لا يحصل بالذهاب بعد الزوال . ولا فضيلة لمن أتى بعد الزوال لأن النداء يكون حينئذٍ وتَحَرُّمُ التخلُّف بعد النداء ، والله أعلم .

قوله ﷺ «فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمْعُونَ الذِّكْرَ» .

استنبط منه الماوردي أن التكبير لا يُستحب للإمام . قال : ويدخل المسجد من أقرب أبوابه إلى المنبر . وما قاله غير ظاهر لإمكان أن يجمع الأمرين بأن يُكَبِّرُ ، ولا يخرج من المكان المُعَدُّ له في الجامع إلا إذا حضر الوقت ، أو يُحْمَلُ على مَنْ ليس له مكان مُعَدُّ .

وفي رواية مسلم : « فإذا جلس الإمام طورا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر ، وكان ابتداء طي الصحف عند ابتداء خروج الإمام وانتهى بجلوسه على الشبر ، وهو أول سماعهم للذكر ، والمراد به ما في الخطبة من الموعظ وغيرها .  
وأول حديث الزهري : « إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول فالأول » .

وعن أبي هريرة عند ابن خزيمة : « على كل باب من أبواب المسجد ملكان يكتبان الأول فالأول » فكان المراد بقوله في رواية الزهري « على باب المسجد » جنس الباب ويكون من مقابلة المجموع بالمجموع ، فلا حجة فيه من أجاز التعبير عن الاثنين بلفظ الجمع .

ووقع في حديث ابن عمر صفة الصحف المذكورة ، أخرجه أبو نعيم في الحية مرفوعاً بلفظ : « إذا كان يوم الجمعة بعث الله ملائكة بصحيف من نور وأقلام من نور » الحديث . وهو دال على أن الملائكة المذكورين غير الخطبة ، والمراد بطي الصحف طي صحيف الفضائل المتعلقة بالمبادرة إلى الجمعة دون غيرها من سماع الخطبة ودرء الصلاة والذكر والدعاء والخشوع ونحو ذلك ، فإنه يكتبه أحفظان قضا . ووقع في رواية ابن عيينة عن الزهري في آخر حديثه أشار إليه عند ابن ماجه : « فمن جاء بعد ذلك فلنما يحيى كجق الصلاة » .

٥ - وعن عمرو بن شعيب رضي الله عنه عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ أنه قال : « ثبت الملائكة على أبواب المساجد يوم الجمعة يكتبون يحيى الناس ، فإذا خرج الإمام طويت الصحف ورفعت الأقلام ، فنقول ملائكة بعضهم لبعض : ما حبس فلاناً ؟ فنقول الملائكة : اللهم إن كان ضالاً فلهذه ، وإن كان مريضاً فاشفيه ، وإن كان عائلاً فأغنيه » . رواه ابن خزيمة في صحيحه .

٦ - وعن أبي عبيدة رضي الله عنه قال : قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « سارعوا إلى الجمعة ، فإن الله يترزق إلى أهل الجنة في كل يوم جمعة في كتف كافر ، فيكونون منه في القرب على قدر تسارعهم ، فيحدث الله عز وجل لهم من الكرامة ما لم يكونوا رأوه قبل ذلك ، ثم يرجعون إلى أهلهم فيحدثونهم

بما أحدث الله لهم . قال : ثم دخل عبد الله المسجد فإذا هو برجلين يوم الجمعة قد سبقاه ، فقال عبد الله : رجلان وأنا الثالث ، إن شاء الله أن يبارك في الثالث ، . رواه الطبراني في الكبير

نوله « فيكونون منه في القرب على قدر تسارعهم » أي على قدر إسرارهم إلى الجمعة ، ويكون قريبهم منه سبحانه على قدر قريبهم من الإمام .

٧ - وعن علقمة بن فليس رضي الله عنه قال : خرجت مع عبد الله بن مسعود يوم الجمعة فوجد ثلاثة قد سبقوه ، فقال : رابع أربعة ، وما رابع أربعة من الله بعيد ، إلى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الناس يجلسون يوم القيامة من الله عز وجل على قدر رواحتهم إلى الجمعات : الأول ، ثم الثاني ، ثم الثالث ، ثم الرابع ، وما رابع أربعة من الله بعيد » .

رواه ابن ماجه وابن أبي عاصم . قال المنذرى : وإسنادهما حسن

## الفصل الثالث

### أحكام وفتاوى

#### وعيد من ترك الجمعة بغير عذر

صلاة الجمعة من أركان فروع الإسلام ، ومن أعظم مجامع المسلمين ، وهي أعظم من كل مجمع يجتمعون فيه وأقرضه سوى مجمع عرفة ، ومن تركها تهاوياً بها طبع الله على قلبه ، كما ثبت في الأحاديث الصحيحة .

١ - فعن أبي الجعد قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ تَرَكَ جُمُعَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَهَاوَنَ بِهَا صَبَّحَ اللَّهُ عَلَى قَبْرِهٖ » ورواه أحمد وأبو داود بن ماجه ونعيم بن حنبل وغيرهم .  
٢ - وعن ابن عمر رآني هريرة أمهما محمد رسول الله ﷺ يقول وهو عن أعراب منزه : « لَيْتَهُنَّ تَوَاتَمَ عَنْ رُؤُوسِهِنَّ الْجُمُعَاتِ ، أَوْ أَبْخِثْنَ اللَّهَ عَلَى قُلُوبِهنَّ ، لَمْ يَكُونَنَّ مِنَ الْعَالَمِينَ » ورواه مسلم .

قوله ﷺ « مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَهَاوَنَ بِهَا » : الثلاث هنا ليس تبدأ بكون تركها كثيرة ولو مرة واحدة . لكن يرد : هلاك زيادة التردد حتى يكبر طبعاً بتمام الثلاث .

وأصل الطبع في اللغة من توسع والتدليس بهيبان اسيف ، ثم تستعمل في الأوزار والآثام وغيرهما من المصاح . في العرائ : والمراد بالطبع على قلبه أنه يفسد قلبه قلب منافق ، قال الله في حق المنافقين : ﴿ لَطِيعٌ عَلَى قُلُوبِهِمْ لَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ .

٣ - وعن عبد الله بن أبي ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ صَبَّحَ النَّدَاءَ

قال رسول الله ﷺ :

« مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَنَسَّ مِنْ طَيِّبٍ إِنْ كَانَ لَهُ ، وَلَيْسَ مِنْ أَحْسَنِ لِبَاسِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ وَعَلَيْهِ السَّكِينَةُ حَتَّى يَأْتِيَ الْمَسْجِدَ ، ثُمَّ يَرْكَعُ إِنْ بَدَأَ لَهُ ، وَلَمْ يُزِدْ أَحَدًا ، ثُمَّ أَنْصَتَ إِذَا خَرَجَ إِمَامُهُ حَتَّى يُصَلِّيَ ، كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا بَيْنَهُمَا . »

( أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن أبي أيوب الأنصاري بإسناد حسن ) .



### الأعذار التي يبيح التخلف عنها

قال النووي في شرح السنة : « أما ترك الجمعة بالعذر فمجتزئ بالاتفاق . دعى ابن عمر لسعيد بن زيد وهو يموت ، وابن عمر يستجمر للجمعة ، فأتاه وترك الجمعة » والحديث أخرجه الشافعي وإسناده صحيح .

وقال ابن عباس لمؤذنه في يوم مطير : « إذا قلت : أشهد أن لا إله إلا الله محمداً رسول الله ، فلا تقبل حتى على الصلاة » قل : صلوا لي يونسكم ، وقال : إن الجمعة عزيمة ، إني كرهت أن أخرجكم فتمشوا في الطين والدخض ( وشخص ، قد حافظ : هو الزنوق ) .

رواه البخاري في باب الجمعة : باب الرحلة إن « يعطى الجمعة في سفر » قال حافظ : « وبه قال الجمهور . ومنهم من فرق بين قليل المطر وكثيره . وعنه ما لا يخصص في تركها بالمطر . وحديث ابن عباس قد حجة في الجوز »

ومن أعذار مدة المرض الذي يشق معه الذهاب إلى المسجد ، ومثل المرض الشبيهة وأصعب عن الذهاب إلى المسجد ، وإذا كان المريض يستطيع الذهاب لمسجد ولكن مرضه يهدى الناس أو يؤذيهم رائحته يحذر له التحنن عن الجمعة . وإذا لم يذو رائحة كريهة تؤذي الجماعة كمرحلة البصل ونحوه .

وصلاة الجمعة بوجوه عام ذات أهمية كبيرة . ومن تركها عمداً عرّض نفسه لعقابه شديدة في الدنيا والآخرة .

### فرض الجمعة ومن يحب عليه ومن لا يجب

صلاة الجمعة واجبة بقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسمّعوا إلى دعوته » ( الجمعة )  
وقول الرسول ﷺ : « ليستحب أن يؤتم عن ودعهم أجمعين أو ليحبهم الله عن قلوبهم ، ثم ليكون من الغافلين » رواد مسلم .

يوم الجمعة ولم يأتيها لم يسمع ولم يأتيها ثلاثاً طبع على قلبه فتجمل قلب منافق .  
أخرجه الطبراني في الكبير ، وقال العراقي : إسناده حسن .

٤ - وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لقوم يتخلفون عن الجمعة : « لقد هممت أن آمر رجلاً يصلي بالناس ، ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم » رواد أحمد وسلم .

قال الشوكاني في ( نيل الأوطار ) : « وقد استدل بأحاديث الباب على أن الجمعة من فروض الأعيان . وقد حكى ابن المنذر الإجماع على أنها فرض عين . وقال ابن العربي : الجمعة فرض بإجماع الأمة . وقال ابن قدامة في المغني : أجمع المسلمون على وجوب الجمعة » .

٥ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « من ترك الجمعة ثلاث جمع متواليات فقد نهد الإسلام » رواد ظاهره « رواد أبو يعلى موقوفاً بإسناده صحيح .

٦ - وروى الترمذي عن ابن عباس « أنه سئل عن رجل يصره النهار ويقوم الليل ولا يشهد الجماعة ولا الجمعة - أي بدون عذر - قال : هو في النار » .

قال ابن عبد البر في ( الاستذكار ) : « وهذا يقتضي أن يكون ابن عباس عرف حال المستولي عنه باعتقاده مذهب الخوارج في ترك الصلاة مع الجماعة ، والتمهة باستحلال دماء المسلمين وتكفيرهم ، وأنه لذلك ترك الجمعة والجماعة معهم ، فأجابه بهذا الجواب نغليظاً عليه في سوء مذهبه » .

### حكم من ترك الجمعة بعذر عذر

قال ابن عبد البر في ( الاستذكار ) : « أجمع علماء الأمة أن الجمعة فريضة على كل حر بالغ ذكراً ، يدرسه زوال الشمس في يصر من الأمصار وهو من أهل المصر غير مسافر ، وأجمعوا أنه من تركها وهو قادر على إتيانها ممن يجب عليه أنه غير كافر بفعله ذلك ، إلا أن يكون جاحداً لها مستكبراً عنها ، وأجمعوا أنه بتركها ثلاث مرات من غير عذر فاسق ، ساقط الشهادة ، وقيل ذلك فيمن تركها عامداً مرة واحدة من غير تأويل ولا عذر » .

قال ابن العربي : « الجمعة فرض بإجماع الأمة » .

وقال ابن المنذر : « الجمعة فرض عين بإجماع العلماء » .

وقال ابن قدامة في المغني : « أجمع المسلمون على وجوب الجمعة » .

وهي واجبة على كل من جمع العقل والبلوغ والذكورة والخبرة والإقامة ، إذا لم يكن له عذر .

فليست واجبة على الأنثى ولا على الرقيق ولا العبي ولا المسافر ، لقوله ﷺ : « الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة إلا أربعة : عبد مملوك ، أو امرأة ، أو صبي ، أو مريض » أخرجه أبو داود ، وقال الحافظ : صحيحه غير واحد .

ويكفي من لا يجب عليه حضور الجمعة ، فإذا حضر وصلى سقط عنه فرض الظهر بأداء الجمعة . قال عبد الله بن مسعود للنساء يوم الجمعة : « إذا صليتم مع الإمام فصلت بصلاته . فإذا صليتم وحدهن فصلتن أربعاً » .

وحضورها أفضل من صلاة الظهر لمن إذا لم يكن هناك قنفة .

#### عدم جواز السفر بعد الزوال لمن تلزمه الجمعة

وكن من تلزمه الجمعة لا يجوز له أن يسافر بعد الزوال قبل أن يصلي الجمعة ، وإن سافر قبل الزوال بعد طلوع الفجر فلا بأس .

أخرج عبد الرزاق عن ابن سيرين : أن عمر بن الخطاب رأى رجلاً عليه ثياب السفر بعد ما قضى الجمعة فقال : ما شأنك ؟ قال : أردت سفر مكرهت أن أخرج حتى أصلي . فقال عمر : إن الجمعة لا تنقض السفر . ثم بعثه وطلبه . قال أمير المؤمنين : ولحديث وحده فقدت .

وأخرج أبو داود في المراسيل وابن أبي شيبة عن الزهري : أنه أراد أن يسافر يوم الجمعة فمضوا ، فقبل له في ذلك ، فقال : إن النبي ﷺ سافر يوم الجمعة .

وقد ذهب إلى عدم جواز سفر بعد الزوال لمن تلزمه الجمعة : الشافعي ومالك وأحمد وأبو حنيفة والأوزاعي إلى حوازه كسائر الصلوات . والقول بقول الجمهور ، للأثر الذي وردت في ذلك .

#### العدد الذي تتعقد به الجمعة

لا خلاف بين الفقهاء أن الجماعة شرط من شروط صحة الجمعة ، لأن التسمية تنفضي ذلك . وقد اختلفوا في العدد الذي تتعقد به الجمعة ، والآية الكريمة : « تنص على عدد معين » وكذلك السنة المطهرة لم يرد فيها نص صريح صحيح عن العدد الذي تتعقد به .

ولهذا اختلف الفقهاء على أقوال عديدة :

الحنفية قالوا : يكفي أربعة أحدهم الإمام ، بقيل : ثلاثة . والشافعية قالوا : لا بد من جمع غير أقله أربعون . والمالكية قالوا : لا يشترط عدد معين بل يشترط جماعة تسكن بهم قرية ويقع بينهم البيع ، ولا تنعقد بالثلاثة والأربعة وغيرهم . قال الحافظ في التلح : « ولعل هذا المذهب أرجح المذاهب من حيث الدليل » .

#### الأذان يوم الجمعة

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ قال القرطبي في هذه الآية : هذا دليل على أن الجمعة لا تجب إلا بالنداء ، والنداء لا يكون إلا بدعوى مرتق ، بدليل قوله عليه الصلاة والسلام : « إذا حضرت الصلاة فأذنا ثم أقبسا ويتوكلما أكبركم » قاله لمالك بن الحويرث وصاحبه .

وفي البخاري عن أنس بن مالك : أن النبي ﷺ كان يصلي الجمعة حين تميل الشمس ... وهذا مذهب الجمهور من أحمد والشافعي ، وقياساً على صلاة الظهر .

#### ما هو الأذان الذي يجب السعي عنده ؟

اختلف العلماء في الأذان الذي يجب السعي عنده :

قال بعض العلماء : المراد به الأذان الأول الذي هو من ( الشارة ) .

وقال آخرون : المراد به الأذان الذي بين يدي الخطيب إذا صعد الإمام المنبر

حجة الفريق الأول :

أن المراد من النداء هو الإعلام ، والسعي إنما يجب عند الإعلام ، وهو ( الأذان الأول ) على المنارة الذي زاده عثمان رضي الله عنه ، وذلك عندما رأى كثرة الناس وتباعدهم مساكنهم عن المسجد ، فأمر بالتأذين الأول على الزوراء ، قال البخاري : وهي موضع بسوق المدينة . وقد ثبت الأمر على ذلك من عهدنا إلى عصرنا هذا .

واستدلوا بما رواه البخاري في صحيحه عن السائب بن يزيد رضي الله عنه أنه قال : « كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فلما كان زمن عثمان رضي الله عنه وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء ، فثبت الأمر على ذلك » .

( والمقصود بالنداء الثالث الإذاعة ) .

حجة الفريق الثالث :

الأذان الذي يجب فيه السعي وترك البيع هو ( الأذان الثاني ) الذي يكون بين يدي الخطيب ، لأنه هو الأذان الذي كان في زمنه ﷺ ، وهو عبء الصلاة وسلام أحرص الناس على أن يؤدي المؤمنون الواجب عليه في وقته ، ولو كان السعي واجباً قبل ذلك لبيته هم ، ولجعل بين الأذان والخفلة زمناً يسع لخطيب الناس .

وهذا المذهب هو رأي جمهور أهل العلم ، وهو الراجح .

**هل يفسخ البيع عند الأذان ؟**

دل قوله تعالى : ﴿ وَذُرُوا الْبَيْعَ ﴾ على حرمة البيع والشراء وسائر المعاملات عند الأذان ، وقد اختلف العلماء في عقد البيع هل هو صحيح أم فاسد ؟

فقال بعضهم : إنه فاسد لورود النبي ﷺ ﴿ وَذُرُوا الْبَيْعَ ﴾ .

وقال الآخرون : إنه حرام ولكنه غير فاسد ، وهو شبه حلال في الأرض المصنوعة نصيب مع الكراهة .

قال القرطبي : « والصحيح فساده ونسخه لقوله عليه الصلاة والسلام : « كُلُّ عَمَلٍ لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ زَدٌّ » أي مردود . والله أعلم » .

**حكم غسل الجمعة**

— أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل » .

— وأخرج أيضاً عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « غُسل الجمعة واجب على كل محتلم » .

قال النووي : « المراد بـ محتلم : السبع ، والمراد بالواجب : وجوب اختيار . كقول الرحمن لصاحبه : خذني وحب علي ، يراد به أحد » .

وقال ابن عبد البر : « كونه قال : واجب في الأحلاق الكريمة وحسن المجالسة » .

— وعن حمزة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ تَوَضَّأَ يَوْمَ الجمعة فيها ونعمت ، ومن اغتسل فغسل أغفر » .

رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن .

قال أبو حاتم : « ذكر عن الأصمعي أنه سئل عن تفسير ذلك فقال : فيه - أي بالنسبة - أخذ ونعمت الحسنة هي . أو لا : ونعمت الحسنة فعل » .

وجمهور أهل العلم على أن غسل الجمعة مستحب مندوب إليه فهو فضيلة لا مرتبة .

قال ابن عبد البر : « لو كان الغسل للجمعة واجباً فرضاً لكان من فرضي الجمعة ألا تغزى » إلا به ، وقد أجمع العلماء على أن صلاة من شهد الجمعة عمر وضوء دون غسل جائزة ماضية . وبذلك على ذلك أيضاً أن عثمان دخل يوم الجمعة وعمر يخطب فقال عمر : أمة ساعة هذه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، القسمة

من السوق فسمعت النداء : فما ردت على أن توضأت . فقال عمر : الوضوء أيضاً وقد علمت أن رسول الله ﷺ كان يأمر بالغسل ؟ ولم يأمر بالخروج إلى الغسل ولا بالإعادة إذا صلاها بالوضوء بغير غسل ، وعثمان قد علم من ذلك ما حمله على شهودها بغير غسل .

وهذا الحديث رواه البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما : أن عمر بن الخطاب بينما هو قائم في الخطبة يوم الجمعة إذ دخل رجل من المهاجرين الأولين من أصحاب النبي ﷺ فناداه عمر : أية ساعة هذه ؟ قال : إلى شئت فلم أنقلب إلى أهلي حتى سمعت التأذين ، فلم أزد أن توضأت ، فقال : والوضوء أيضاً وقد علمت أن رسول الله ﷺ كان يأمر بالغسل ؟ .

قال الحافظ في الفتح : « وقد سُمي ابن وهب وابن القاسم في روايتهما عن مالك في الموطأ الرجل المذكور عثمان بن عفان ، وكذا سُمي عمر في روايته عن الزهري عند الشافعي وغيره » .

وقول سيدنا عمر : أية ساعة هذه ؟ : استفهام المراد منه الإنكار ، وكأنه يقول : لِمَ تأخرت إلى هذه الساعة ؟ وفي رواية مسلم : « فعرض عنه عمر فقال : ما بال رجال يتأخرون بعد النداء » ومراد سيدنا عمر رضي الله عنه التسلح إلى ساعدت التكبير التي وقع الترغيب فيها وأنها إذا انقضت طوت الملائكة الصحف ، وفهم سيدنا عثمان ذلك فبادر إلى الاعتذار عن التأخر .

وقوله ( والوضوء أيضاً ؟ ) المسمى : « كضيق بآخير الوقت وغربت الفضيلة حتى تركت الغسل واقتصرت على الوضوء ؟ »

قال الإمام الشافعي رحمه الله في ( الرسالة ) بعد أن أورد حديثي ابن عمر وأبي سعيد : « ... وأمره بالغسل بحتمل معنيين : الظاهر منهما أنه واجب ، فلا تجزئ الطهارة لصلاة الجمعة إلا بالغسل ، كما لا يجزئ في طهارة الحب غير الغسل ، وبحتمل واجب في الاختيار والأخلاق والنظافة » .

ثم استدلل للاحتيال الثاني بقصة عثمان مع عمر التي تقدمت قال : « ... فنمّا لم يترك عثمان الصلاة للغسل ، ولما لم يأمره عمر بالخروج للغسل - دلّ ذلك على أنهما قد علما أن أمر رسول الله ﷺ بالغسل على الاختيار ، لا على أن لا يجزئ غيره ... » .

في الحفظ : « وعلى هذا الجواب عوّل أكثر المصنفين في هذه المسألة كـ ابن خزيمة والبخاري ولطحاوي وابن حبان وابن عبد البر وهم جراً ، وزاد بعضهم فيه أن من حضر من الصحابة وافقهما على ذلك فكان إجماعاً منهم على أن الغسل ليس شرطاً في صحة الصلاة وهو استدلال قوي ، وقد نقل الخطاط وغيره الإجماع عن أن صلاة الجمعة بدون الغسل مجزئة » .

ومن سأل أيضاً على أن الأمر بالغسل للجمعة ليس على الوجوب ما رويته أسبعة عشرة وابن عمر وابن عباس وأبو سعيد في الوجه الذي من أجله أمروا بغسل يوم الجمعة أو ما أمروا به ، فمن ذلك حديث ابن عمر ، قال : « كان من يفسدون في أعينهم ، فإذا كانت الجمعة جاءوا وعليهم ثياب دزنة وألوانها متغيرة ، قال : فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فقال : مَنْ جاء منكم الجمعة فيغتسل ، ويتخذ ثوبين للجمعة سوى ثوبي مهنته » . رواه البخاري والبيهقي ( ومعنى دزنة : وسخة ، ومهنته : عمله ) .

قال إمام مالك والثوري وجماعة من أهل العلم : إن غسل الجمعة سنة مؤكدة ، لأنها قد عمل بها رسول الله ﷺ وأخفاه بعده المسلمون ، واستحبوها وتديبوا إليها ، وهذا سبيل السنن المؤكدة .

### فوائد هامة (١)

١ - ذهب الشافعي وأبو حنيفة إلى أن من اغتسل للجمعة بعد الفجر أجره من غسبه ، وهو قول الحنبلين البصري والنخعي ، وبه قال أحمد وإسحق وأبو ثور والطيبي ، وهو قول ابن وهب صاحب مالك . ولكن الغسل قبل الذهاب بوقت يسير أفضل .

٢ - قال الشافعي : الغسل للجمعة سنة ، ومن اغتسل للفجر للجناية ومجره أجره ، وإن اغتسل لها - أي للجمعة - دون الجناية وهو جنب لم يجزئه .

(١) منقولة من كتاب ( الاستذكار ) لابن عبد البر .

٣ - قال الأثرم : سمعت أحمد بن حنبل سُئل عَنْ الْغُسْلِ لَمْ أَحْدَثْ مِنْ يَكْفِهِ الْوُضُوءُ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ وَلَمْ أُصِغْ فِيهِ أَعْلَى مِنْ حَدِيثِ ابْنِ أَرْزَى : يَشِيرُ إِلَى مَا أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِيزٍ عَنْ أَبِيهِ وَلَهُ صَحِيحَةٌ وَأَنَّهُ كَانَ يَغْتَسِلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ثُمَّ يُتَيَمَّمُ فَيَتَوَضَّأُ وَلَا يَعِيدُ الْغُسْلَ .  
قال الطحاوي : فهذا يدل على أن الغسل لليوم لا للرواح إلى الجمعة .

٤ - اختلف العلماء فيمن اغتسل للجمعة وهو جنب ولم يذكر جنبته : فذهب طائفة منهم إلى أنه يبرئ من غسل الجنابة وإن كان ناسياً لها في حين الغسل . وممن ذهب إلى ذلك ابن كنانة وأشهب وابن وهب وابن نافع وعبد ابن مسleme ، وهؤلاء من أصحاب مالك ، وبه قال الأثرم صاحب الشافعي . وقال آخرون : لا يبرئه ذلك من غسل الجنابة حتى يبرئ غسل الجنابة ، ويكون ذاكراً لجنبته في حين غسله قاصداً إلى الاغتسال منها . وممن ذهب إلى هذا ابن القاسم ، وحكاه ابن عبد الحكم عن مالك ، وهو قول الشافعي وأكبر أصحابه ، وبه قال داود ، وهو الراجح ، والله أعلم .

٥ - قال الأثرم : قلت لأبي حنبل : رجل اغتسل يوم الجمعة من جنبته يبرئ به غسل الجمعة ، فقال : أرى أن يُجزئه منهما جميعاً . قلت له : يبرئ عن مالك أنه قال : لا يُجزئه عن واحد منهما ، فأفكره .  
قال أبو بكر بسنده عن ابن عمر أنه كان يغتسل للجمعة والجنابة غسل واحد .

### هل المسجد شرط في صحة الجمعة ؟

ذهب جمهور العلماء إلى أنه لا يشترط لصحة الجمعة أدائها في المسجد قال ابن قدامة الحنبلي في المغني : « ولا يشترط لصحة الجمعة البناء بل تغور إقامتها فيما قاربه من الصحراء » .

وفي الصريح سروري الشافعي : « ولا يشترط إقامتها في مسجد ، ولكن تغور في ساحة مكشوفة بشرط أن تكون دائمة في نفرة أو بلدة معدودة في نخصت من صومعها خارج البلدة لم تصح بلا خلاف سواء كانت بقرب البلدة أو بعيداً ، وسواء صومعها في ركن أم ساحة ، ولو انتهت أنفة نفرة أو البلدة دونه ، فممن عارضهم لزمتهم الجمعة فيها سواء كنوا في مسكن أو بمظال أم لا ، قاله ابن أبيبطين » .

قال الشوكاني في ( نيل الأوطار ) : « قال أبو حنيفة والشافعي وسائر حمته : إن تشييد ليس شرطاً لإقامة الجمعة إذ لم يقص دليل وجوبها ، وبه قد روي أنه عليه السلام صلى الجمعة في بعض النواحي ، وقد روي ذلك أصحاب حيز وممن ابن سعد » .

ثم المالكية فذهبوا - كما في الشرح الكبير - إلى أن المسجدة شرط وحرب وصحة ، معاً أو شرط صحة فقط ، ولا تصح في برج تحيط بأحجار من غير . « لأنه لا يشي مسجد إذا المسجد منه بناء وشي على المنفرد » .  
وقول جمهورهم والله أعلم .

### القرأة في صلاة الجمعة

عن عبيد الله بن أبي أوفى أن مروان بن الحكم استخفى أبا هريرة على سبيل ، فعسى بهم أبو هريرة الجمعة ، فقرأ ( سورة الجمعة ) في الركعة الأولى . وفي النبوة ( إذا حدثك المنافقون ) ، فقال عبيد الله : فلما انصرف أبو هريرة سببت إلى جنبه فقلت له : لقد فرأت سرورين سمعت عن ابن أبي طالب يقرأ سورة في الصلاة . فقال أبو هريرة : سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بهما .

أخرجه مسلم في صحيحه قال النووي : « وفي الحديث : تشجيع قراءتهما بكلماتهما فيهما ، وهو مذهبه ومذهب آخرين . قال العلماء : والحكمة في قراءة الجمعة اشتغالها على وجوب الجمعة ، وغير ذلك من أحكامها ، وغير ذلك مما فيها من القواعد وأحكام على

التوكل والشكر وغير ذلك . وقراءة سورة الشافقين لتوبخ حاضريهم وتنبههم  
عن التوبة وغير ذلك مما فيها من القواعد لأنها ما كانوا يجتمعون لى مجلس أكثر من  
اجتماعهم فيها .

- أخرج الطبراني فى الأوسط عن أنى هريرة رضى الله عنه قال : « كان رسول  
الله ﷺ يقرأ فى صلاة الجمعة بالجمعة فيحرض به المؤمنين على الثانية بسورة  
الشافقين فيقرأ الشافقين » .

- وأخرج مسلم عن النعمان بن بشير قال : « كان رسول الله ﷺ يقرأ فى  
الجمعة وفى الجمعة يسمي اسم ربك الأعلى وعلى أنك حديث الغاشية ، قال : وإذا  
اجتمع العيد والجمعة فى يوم واحد يقرأ بهما أيضاً فى الصلاتين » .

قال النووي : « فيه استحباب القراءة فيها بهما . وفى الحديث الآخر القراءة  
فى العبد ( بضاف واقرئت الساعة ) وكلاهما صحيح ، فكان النبي ﷺ يقرأ  
فى الجمعة ( الجمعة والشافقين ) وفى وقت ( سبح وهل أتاك ) وفى وقت يقرأ  
فى العيد ( قل وأقرئت ) وفى وقت ( سبح وهل أتاك ) » .

وهذا قول مالك والشافعى وأحمد بن حنبل وأنى ثور .

وقال أبو حنيفة وأصحابه ورواه ابن أنى شعبة فى المصنف عن الحسن البصري  
أنه يقرأ الإمام بما شاء .

وقال الثوري : « لا يعتمد الإمام أن يقرأ فى الجمعة بالسورة التى جئت لى  
الأمر ، ولكن يعتمد ذلك أحياناً ويسع أحياناً » .

### حكم إدراك ركعة من صلاة الجمعة

قال الإمام مالك فى موطنه عن ابن شهاب أنه كان يقول : من أدرك من صلاة  
الجمعة ركعة فليصل إليها أخرى ، قال مالك : قال ابن شهاب : وهو السنة .  
قال مالك : وعلى ذلك أدركت أهل العلم بيئتنا ، وذلك أن رسول الله ﷺ  
قال : « من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك الصلاة » .

وهكذا قال الثوري وأصحابه والثوري وحسن والأوزاعي وزفر بن حبان  
وعبد بن الحسن - فى الأشهر عنه - واللبث بن سعد وأحمد بن حنبل ، فلو  
من أدرك ركعة من صلاة الجمعة مع الإمام صلى إليها أخرى ، ومن لم يدرك  
ركعة تامة معه صلى أربعاً .

قال أحمد بن حنبل : إذا فاتته الركوع صلى أربعاً ، وإذا أدرك ركعة صلى  
أخرى ، وروى ذلك عن غير واحد من أصحاب النبي ﷺ منهم ابن مسعود  
وابن عمر وأبى .

وفى المسألة قول آخر : قال أبو حنيفة وأبو يوسف : إذا أحرمت فى الجمعة صلى  
سلام الإمام صلى ركعتين . روى ذلك عن الشخص وهو قول حاكم وحماد بن  
قال داود ، ومجتبه قوله عليه الصلاة والسلام : « ما أدرككم فصلوا ، وما لم يكن  
فأتكموا » قالوا : ونحن أدرك من الصلاة جزءاً قبل السلام فهو مأثور بالدخول به  
مع الإمام . ومعلوم أن الذى فاتته ركعتان فإنه يقضى ما فاتته ، وذلك ركعتان لأربع .

قال ابن عبد البر : « فى قوله ﷺ : من أدرك ركعة من صلاة فقد أدرك  
الصلاة » - وقد أجمعوا أن إدراكه بإدراك ركوع مع الإمام - دليل على أنه من  
لم يدرك من الصلاة ركعة فلم يدركها ، هذا مفهوم الخطاب . ومن لم يدرك  
لزمه أن يصلى ظهر أربعاً . وقد جعل رسول الله ﷺ الذى لا يدرك منه ركعة  
تامة فى حكم من ، يدرك منها شيئاً . وهو أولى ما قبل فى هذا الباب ، والله أعلم  
للصواب » .

والخلاصة فى مسألة : أن من دخل المسجد يوم الجمعة وتقوم بصلواته  
أدرك معهم ركعة كاملة فقد أدرك صلاة الجمعة فىأتى بركعة أخرى . وإذا  
لم يدرك ركعة كاملة صلى أربعاً لأنه لم يدرك بذلك صلاة الجمعة ، وهذا قول  
أكثر أهل العلم .

### قاعدة :

من رُفِعَ يوم الجمعة أو أحدث والإمام يخطب فخرج ولم يرجع حتى فرغ  
الإمام من صلاته فإنه يصلى أربعاً .

### ما جاء في سنة الجمعة البعدية

- أخرج مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :  
« إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربعاً » .

زاد عمرو في روايته : قال ابن إدريس قال سهيل : « فإن عجل بث شئ  
فصل ركعتين في المسجد وركعتين إذا رجعت » .

- وأخرج مسلم عن سالم عن أبيه « أن النبي ﷺ كان يصل بعد الجمعة  
ركعتين » .

قال النووي : « في هذه الأحاديث استحباب سنة الجمعة بعدها والحث  
عليها ، وأن أقلها ركعتان وأكملها أربع ، ففيه ﷺ بقوله : إذا صلى أحدكم بعد  
الجمعة فليصل بعدها أربعاً على الحث عليها ، فأتى بصيغة الأمر ، وثمة بقوله ﷺ  
في رواية : « من كان منكم مصلباً ، على أنها سنة ليست واجبة ، وذكر الأربع  
لفضيلتها ، وفعل الركعتين في أوقات بيان لأن أقلها ركعتان ، ومعلوم أنه ﷺ  
كان يصل في أكثر الأوقات أربعاً لأنه أمرنا بين وحثنا عليهن ، وهو أرغب في  
الخير وأحرص عليه وأول به ﷺ » .

### اجتماع العيد والجمعة في يوم واحد

ذهب الحنفية والمالكية إلى أنه إذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد فؤدى  
الصلاتان كل في وقتها المشروع ، فلا تسقط إحداها بالأخرى .

وذهب الشافعية إلى عدم سقوط الجمعة عن أهل البلد باتفاق أئمة المذهب ،  
فيجب عليهم أدائها في وقتها ، وأداء صلاة العيد في وقتها . وللشافعية في أهل  
القرى الذين تلزمهم الجمعة ليبلغهم نداء البلد إذا حضروا فصلوا العيد في البلد  
وجهاً ، أصحابها سقوطها ، فلا تجب عليهم الجمعة ، لما رواه البخاري عن عثمان  
ابن عفان رضى الله عنه أنه قال في خطبته : « أيها الناس ، قد اجتمع عيدان في  
يومكم هذا ، فمن أراد من أهل العالية ( قرية قرب المدينة ) أن يصل معنا الجمعة

فليصل . ومن أراد أن يتصرف فليصرف » ولم ينكر عليه أحد من صحابة ،  
والأنهم قد فعلوا بالبلد حتى يصلوا الجمعة فانهم التهيؤ للمعيد ، وإذا خرجوا إلى  
قراهم ثم عادوا للجمعة كان عليه في ذلك مشقة ، والجمعة تسقط بالمشقة .  
وذهب أحمد إلى عدم وجوب الجمعة على أهل البلد والقرى في هذا اليوم ،  
فإذا لم يصلوا الجمعة وجب الظهور ، فحدث زيد بن أرقم وقد سأله معوية : هل  
شهدت مع رسول الله ﷺ عيدين اجتمعا ؟ قال : نعم ، صلى العيد يوم النحر ،  
ثم رخص ل الجمعة فقال : « من شاء أن يجتمع فليجمع » وفي رواية : « من شاء  
أن يصلي فليصل » رواه أحمد وأبو داود .

### كراهية إفراد يوم الجمعة بالصوم وليلته بالقيام

- عن محمد بن عباد قال : سألت جابرًا رضى الله عنه : « أي النبي ﷺ  
عن يوم يوم الجمعة ؟ قال : نعم ، زاد غير أبي عاصم ، يعني أن يفرد الصوم » .

رواه البخاري في صحيحه

- وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « لا يصوم  
أحدكم يوم الجمعة إلا يوم قبله أو بعده » ، رواه البخاري .

- وعن جويرية بنت جارث رضى الله عنها أن النبي ﷺ حذر عنها يوم  
جمعة وأمى مسألة فقد : « أحسب أمس ؟ قالت : لا . قال : تريد أن  
تصومي صائراً ؟ قالت : لا . قال : فأطربح » ، رواه البخاري .

- وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « لا تصوموا يوم  
جمعة وحده » ، رواه أحمد في مسنده .

- وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يوم الجمعة  
يوم عيد ، فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيامكم إلا أن تصوموا قبله أو بعده » ، رواه أحمد .

- وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تحصوا ليلة  
خمس بغير من بين النبي ، ولا تحصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام ، إلا أن  
يكون في صوم يصومه أحدكم » ، رواه مسلم .

## الفصل الرابع

### سنن وآداب تتعلق بصلاة الجمعة ويوم الجمعة

وهي ثمر من خمسة عشر :

#### ١ - الاستعداد لها

أن يستعد لها من يوم الخميس وفي ليلة الجمعة ، بالتنظيف ، وغسل ثياب ، وإعداد ما يصبح لها ، ويترغ قلبه من الأشغال التي تشغله من اليكوري جمعة .  
قال بعض السلف : أول درس نصيباً من الجمعة من انظرها ورعها من الأمل ، وأحفظها حباً من إذا أصبح يقول : ما هذا يوم ؟

#### ٢ - قراءة سورتي السجدة والإنسان

قراءة سورة في آية تنزيل في السجدة وفي آية على الإنسان حين من الذكر في صلاة فجر يوم الجمعة ، لتحديث الذي أخرجه مسدود صحبه عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن النبي ﷺ كان يقرأ في صلاة العصر يوم الجمعة ثم تنزل السجدة وهل آتى على الإنسان حين من الدهر ... الحديث .  
قال ابن القيم رحمه الله :

« ويحسن كثير ممن لا علم عنده أن المراد تخصيص هذه الصلاة بسجدة واحدة ويسمونها بسجدة الجمعة ، وإذا لم يقرأ أحدهم هذه السورة استحب قراءة سورة أخرى فيها سجدة ، ولهذا كره من كره من الأئمة المتأخرة على قراءة هذه السورة في

- وعن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من كان منك من تطوعاً من الشهر فليجئهم يوم الخميس ولا يقسم الجمعة فإنه يوم طدام وشراب وفكر » رواه ابن أبي شيبة في مصنفه .

قال ابن حجر في الفتح : « وهذه الأحاديث تفيد النهي التطلق في حديث جابر ونؤيد الزيادة التي تقدمت من تفيد الإطلاق بالافراد ، ويؤخذ من الاستثناء جوازه لمن صام قبله أو بعده ، أو اتفق وقوعه في أيام له عادة بصومها كمن يصوم أيام البيض ، أو من له عادة بصوم يوم معين كيوم عرفة فوافق يوم الجمعة ، ويؤخذ منه جواز صومه لمن نذر يوم قدوم زيد مثلاً أو يوم شفاء فلان » اهـ .

ومما قول أكثر أهل العلم : أنه يكره إفراد يوم الجمعة بصوم أو قيام ، ودفعوا إلى أن النهي للكره لا للتحريم ، إلا إذا صام يوماً قبله أو يوماً بعده ، أو وافق عادة له ، أو كان يوم عرفة أو عاشوراء ، فإنه حينئذ لا يكره صيامه .



وجهر الجدران دفعاً لتوهم الجاهلين . وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول : « كان النبي ﷺ يقرأ هاتين السورتين في فجر الجمعة لأبها تضيقاً ما كان ويكون في يومها : فإيهما اشتملتا على تحلل آدم وعن دثر العباد وحشر العباد ، وحيث يكون يوم الجمعة ، وكان في قراعتهم في هذا اليوم تذكير للأمة بما كان فيه ويكون ، والمسجده جاءت تبعاً ليست مقصورة حتى يقصد المصلون غرامتها حيث انفتحت » .

### ٣ - الاعتسار

الاعتسار في يومها . كما جاء في الأحاديث الصحيحة ، فإذا أصبح ابتداءً بالفصل بعد طلوع الفجر ، وإن كان لا يُذكر فاقربه إلى الرواح أحب ليكون أقرب عهداً بالنظافة ، والفصل يومها مستحب استحباباً مؤكداً .

ومن اغتسل للحنابة فليغسل الماء على يديه مرة أخرى على نية غسل الجمعة ، فإن اكتفى بغسل واحد أحراه ، وحمل له الفضل إذا نوى كنيهما ودخل غسل الجمعة في غسل الحنابة . ومن اغتسل ثم أحدث نوصاً ولم يغسل غسله . والأحدث أن يكرر عن ذلك .

### ٤ - ليس أحسن الثياب

يستحب أن يلبس فيه أحسن الثياب التي يقدر عليها ، فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي أيوب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من اغتسل يوم الجمعة ، ومن طيب إن كان له ، وليس من أحسن ثيابه : ثم خرج وعليه السكينة حتى يأتي المسجد ، ثم يركع إن بدا له ، ولم يؤدأ أحد ، ثم نصت إذا خرج إمامه حتى يصل ، كانت كفارة لما بينهما » أخرجه أحمد بإسناد حسن . وروى سنن أبي داود عن عبد الله بن سلام أنه سمع النبي ﷺ يقول على المنبر في يوم الجمعة : « ما علي أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبين مهته » . رواه أبو داود بإسناد صحيح .

قال الشافعي رحمه الله : « من لبس ثوبه في هذه ، ومن طاب ربحه زاد عنه » . وأما الكمرة فالحق البض من الثياب ، ولا يلبس ما فيه شهرة .

### ٥ - التذكير في الذهاب للصلاة

التذكير إلى الجمع ، وبفضل التذكير عظيم . وينبغي أن يكون في سبعة إلى الجمعة خاشعاً متواضعاً ذوياً للاعتكاف في المسجد إلى وقت الصلاة : فصدداً للعبادة إلى حواشي فداء على سبيلته وإيماني إلى الجمعة إياه ، والمشاركة إلى مغفرته ورضوانه .

وقد قال رحمه الله : « من راح إلى الجمعة في الساعة الأولى فكأنما قرب ثلثة ، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن . ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما أهدى دجاجة ، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما أهدى بيعة . فإذا خرج الإمام طويت صحف ورُفعت الأعلام وحجعت ثلاثمائة ألف من يستمعون الذكر ، فمَنْ جاء بعد ذلك فإنما جاء ليرى الصلاة ليس له من الفضل شيء » . والساعة الأولى إلى صوم الشمس ، والثانية إلى ارتفاعها ، والثالثة إلى انبساطها حين ترمض الشمس ، والرابعة والخامسة عند الضحى الأعلى إلى زوال وفضلهما قليل ، ووقت زوال حق الصلاة ولا فصل فيه . حكاه عزازي في الإحياء .

قال أبو حامد الغزالي : « وكان يرى في القرن الأول سحرراً أو بعد حجر الطرقات مملوءة من الناس يمشون في الشوارع ويردحون بها إلى الجامع كأنهم بعيد ، حتى اندرس ذلك ، فقليل : أول ندعة حدثت في الإسلام ترك البيوت إلى الجامع . وكيف لا يستحي المسلمون من اليهود والنصارى وهم يكررون إلى البيع والكنائس يوم السبت والأحد ؟ وضلاب الدنيا يكررون إلى رحاب الأسواق للبيع والشراء والربح ، فبئس لا يسابقهم ضلاب الآخرة ؟ »

ويقال : إن الناس يكونون في قريتهم عند النظر إلى وجه الله تعالى يوم القيامة على قدر بكورهم إلى الجمعة . فقد ذكر الخطيراني في معجمه عن أبي عبيد قال :

قال عبد الله بن مسعود : « سارعوا إلى الجئع فإن الله عز وجل يترز لأهل الجنة في كل جمعة في تكبير من كافور ، فيكون منه في القرب على قدر تسارعهم إلى الجمعة ، فيحدث الله سبحانه لهم من الكرامة شيئاً لم يكونوا رأوه قبل ذلك ، ثم يرجعون إلى أهلهم فيحدثونهم بما أحدث الله لهم . قال : ثم دخل عبد الله المسجد فإذا هو برجلين ، فقال عبد الله : رجلان وأنا الثالث ، إن بشأ الله ببارك لي الثالث . »

#### ٦ - عدم تخطي رقاب الناس

في هيئة الدخول : ينبغي أن لا يتخطى رقاب الناس ولا يمر بين يدي المصلي ، والتكبير يسهل ذلك عليه ، فقد ورد نهى أكيد عن تخطي الرقاب ، وإذا كان الصف الأول متروكاً خالياً فله أن يتخطى رقاب الناس لأنهم همموا حقهم وتركوا موضع الفضيلة . قال الحسن : « تخطوا رقاب الناس الذين يفعلون على أياد الخوامع يوم الجمعة فإنه لا حرمة لهم . »

#### ٧ - الحرص على الصف الأول

إن يطلب الصف الأول ، لقول النبي ﷺ : « يا أيها الناس ما لي أراهم يحرصون على الصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا . »  
رواه البخاري وسنده عن أبي هريرة .  
قال الحافظ في التلخيص (١) :

« والنداء هو الأذان . قال الطبري : أطلق مفعول به وهو ما وراءه بين الغلبة ما هو ليفيد ضرباً من المبالغة ، وأنه لما لا يدع تحت الوصف والإطلاق إنما هو في قدر الفضيلة وإلا فقد يثبت في الرواية الأخرى بالخبر والبركة . »

وسراد بالصف الأول ما يلي الإمام مطلقاً ، وقيل : أول صف تام على الإمام ، لا ما تخلله شيء كمتصورة ، وقيل : المراد به من سبق إلى الصلاة ولو صلى آخر الصفوف ، قاله ابن عبد البر ، واحتج بالانقاع على أن من جاء أول الوقت

(١) فتح الباري ( ٢ / ٩٩ )

وإن يدخل في نصف الأول فهو أفضل من جاء في آخره وزاحم إليه ، وإن جاء له في ذلك لا يخطئ .

قال النووي : « القول الأول هو الصحيح المختار وبه صرح اعفون ، والشلان الآخران غلط صريح . »

« وعن مسند بن بشر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله وملائكته ينظرون على الصف الأول ، أو الصفوف الأولى . »

رواه أحمد بإسناد صحيح

قال العلامة : وفي حرص على الصف الأول - أيضاً - المسارعة إلى خلاص الصف ، واسبق لدخول المسجد ، والقرب من الإمام واسمع فرائده وأسمع منه ، والفتح عليه ، والتبليغ عنه ، والسلامة من اختراق المارة بين يديه ، وسلامة البال من رؤية من يكون قدسه ، وسلامة موضع سجوده من أذيال المصلين .

#### ٨ - قطع ثقل الصلاة عند صعود الإمام

أن يقطع ثقل من صلاة والذكر عند خروج الإمام ويشتغل بإجابة ما دلت له لسمع الخصة . هذا إن كان داخل المسجد ، أما إذا دخل المسجد والإمام يخطب فلا يخلص حتى يصل ركعتين يتجاوز بهما ، للحديث الصحيح الذي رواه مسلم والترمذي والبيهقي وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « جاء سليلك العصفري ورسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة ، فقال له النبي ﷺ : صليت ؟ قال : لا . قال : صل ركعتين وتجاوز بهما . »

#### ٩ - الصلاة بعد الجمعة

أن يصل السنة بعد الجمعة إن شاء ركعتين وإن شاء أربعاً ، للحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من كان منكم لمصلياً بعد الجمعة فليصل أربعاً . »

وعن نافع عن عبد الله بن عمر ، أنه كان إذا صلى الجمعة انصرف فصلى سجدتين في بيته ، ثم قال : كان رسول الله ﷺ يصنع ذلك .  
ففي هذه الأحاديث استحباب سنة الجمعة بعدها والحديث عليها ، وأن أقلها ركعتان وأكملها أربع .

#### ١٠ - الإقامة في المسجد بعد الصلاة

أن يبقى في المسجد حتى يصل العصر ، وإن أقام في المغرب فهو أفضل ليحصل على ثواب العتف ، فإن غاب الخوض فيما لا يعني والأفضل أن يرجع إلى بيته فذكر الله عز وجل ، متذكراً لآلته ، شاكراً لله تعالى عن توفيقه ، خائفاً من تقصيره ، مراقباً لقلبه ولسانه ، إلى غروب الشمس حتى لا يفوته ساعة الشريفة . ولا ينبغي أن يتكلم في المسجد يحدث الدنيا ، قال ﷺ :  
« يأتي على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم أمر ديهيم يسر له ناري بيوت حارة . ولا تحبالسوهم » .

قال الحافظ العراقي : أخرجه البيهقي في الشعب من حديث الحسن مرسل .  
وأسنده الخاكم من حديث أنس وصححه إسناده .

#### ١١ - تحريم ساعة الإجابة

أن يراقب الساعة الشريفة التي في يوم الجمعة بالحضور القرب والاحترام والتشكر .

واختلف في هذه الساعة ، فلي أفراد مسلم من حديث أبي موسى رضي الله عنه أنها ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تفضي الصلاة . وفي حديث آخر صحيح عن جابر أنها آخر ساعة بعد العصر . وفي حديث أنس رضي الله عنه : اتسموها ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس .

قال ابن القيم في الزاد : وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما

قال : الساعة التي تكرر يوم الجمعة ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس ، وكان سمع من جبير إذا صلى العصر يتكلم أحياناً حتى تغرب الشمس . وهذا هو قول أكثر السلف وعليه أكثر الأحاديث . وبالله القول بأنها ساعة صلاة وغية الأثر . لا دليل عليها . واعتدى أن ساعة الصلاة ساعة ترجى به الإجابة أيضاً لكلام ساعة بحالة ، وإن كانت ساعة المحسوبة هي آخر ساعة بعد العصر . فهي ساعة معينة في اليوم لا تتقدم ولا تتأخر ، وأما ساعة الصلاة التابعة للصلاة فتقدمت أو تأخرت ، لأن الاجتماع لمسلمين وصلاتهم وتضرعهم وبها يهتد إلى شئ تعالى كثيراً في الإجابة . ساعة حتم عليهم ساعة ترجى فيها الإجابة . وعلى هذا تنفق الأحاديث كلها ويكون حين ﷺ قد حصل أمته على الدعاء والابتهاج إلى شئ تعالى ل هاتين الساعتين .

#### ١٢ - الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ

تكثر من الصلاة على النبي ﷺ في هذا اليوم ، في ليلة الجمعة أيضاً . فبأنه ﷺ : كثر عن من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة ، فمن من دست كثر في شهيداً وشيعاً يوم القيمة . رواه بعضهم بإسناد حسن .

ويبين لإمام ابن القيم رحمه الله حائسة في ذلك فيقول : « وصورة ﷺ في هذا اليوم يوم الجمعة سيد الأرواح الصلاة عليه في هذا اليوم مرة يستغفره ، مع حكمة أخرى وهي أن كل خير قائم أمته في الدنيا والآخرة يرجع إليه على يده ، فجمع ما شاء به من جزى الدنيا والآخرة ، وأعظم كرمه أن حصل له فضل من الصلاة يوم الجمعة ، فإله به عنده يوم محاربه ونصرتهم في الحق . وهو يوم الحريه فم له لعل حجة ، وهو عيد له في الدنيا . ويوم فيه يستعصم شئ تعالى بطلبهم وحرائجهم ولا يرؤ سائلهم ، وهذا كله له عرفوه وحصل منه بسببه وعن يده . مبين شكره وحده وثناء التقين من حقه ﷺ أن تكرر من الصلاة عليه في هذا اليوم ربت » .

صلى الله عليك وعلم الهدى ، ما هئت لتسالم . وما ناحت على الأئمت حديثهم

شعر<sup>(١)</sup> :

أعزُّ ، عليه للتبسُّوة حسامُ  
وَضَمُّ الإله اسمُ النبي إلى اسمه  
وَشَقُّ له مِنْ اسمه يُجِلُّه  
لَبَّى أَنَا تَعَدُّ بَأْسَ وَفَسْرُ  
فَأَسْرَ سِرَاجاً مُبِيراً وَمَادِيَا  
وَأَنْذَرْنَا نَاراً ، وَبَشَّرَ جَنَّةً  
وَأَنْتَ إِلَهُ الْخَلْقِ رَافِعُ وَتَغَالَى  
تَعَالَيْتَ رَبُّ النَّاسِ عَنْ قَوْلٍ مَنْ دَعَا  
لَكَ الْخَلْقُ وَالنَّمَاءُ وَالْأَسْرُ كُلُّهُ

مِنْ اللَّهِ مَشْهُودٌ بِلَوْحٍ وَبَشْهَدٍ  
إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَذِّنُ أَشْهَدُ  
قُدُّو الْعَرْشَ عَمُودَ وَهَذَا مُرْشِدُ  
مِنَ الرُّسُلِ وَالْأَوْتَاقِلِ الْأَرْضِ أَفْئِدُ  
بِلَوْحٍ كَمَا لَاخِ الصُّفَيْلِ الْمُهْلِدُ  
وَعَلِمْنَا الْإِسْلَامَ ، فَاتَّخَذَ  
بِذَلِكَ مَا عَثَرْتُ فِي النَّاسِ أَشْهَدُ  
سِوَالِكَ إِلَهًا ، أَنْتَ أَهْلَى وَابْجِدُ  
فَأَبَاكَ تُسَمِّدِي وَإِيمَاكَ تَغِيدُ

### ١٣ - قراءة سورة الكهف

أَنْ يقرأ سورة الكهف في ليلتها أو يومها لقوله ﷺ : « مَنْ قرأ سورة كهف في يوم خمسة أضاء له من النور ما بين الجمعتين » ، روى الشيخان وصححه  
وقال النجاشي أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : « مَنْ قرأ سورة كهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق » .

رواه الإمام أحمد بن محمد بن منصور بن سبه  
ويستحب أن يُكرر من قراءة القرآن في يوم الجمعة ، وأن ينام فيه أو في ليلة الجمعة إن قدر .

### ١٤ - التصديق في يوم الجمعة

أَنْ يصدق في يوم الجمعة بما أمكن . ولكن صدقته حارج السنن .

(١) حسان بن ثابت رضي الله عنه .

قال ابن القيم في الزاد : « للصدقة فيه منزلة عليها في سائر الأيام ، والصدقة فيه بالنسبة إلى سائر أيام الأسبوع كالصدقة في شهر رمضان بالنسبة إلى سائر الشهور » .

لم قال : « وشاهدت شيخ الإسلام بن تيمية قدس الله روحه إذا خرج إلى الجمعة يأخذ ما وجد من بيت من حرام أو غيره فيصدق به في طريقه سراً . وجمعه يقول : « إذا كان الله قد أمرني بالصدقة بين يدي مناجاة رسول الله ﷺ فتصدق بين يدي مناجاته أفضل وأولى بالفضيلة » .

وقال أحمد بن زهير بن حرب : حدثني أبي حدثنا جرير عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس قال : « اجتمع أبو هريرة وكعب ، فقال أبو هريرة : إن في الجمعة ساعة لا يوفقها رجل مسلم في صلاة يسأل الله عز وجل شيئاً إلا آتاه إياه . فقال كعب : أنا أحدثكم عن يوم الجمعة ، إنه إذا كان يوم الجمعة فُتحت له السموات والأرض والبحر والجن والشجر والخلق كلها إلا بن آدم وشياطين . وحدث ملائكة أبواب السموات فيكون من جاء الأول فالأول حتى يخرج إماماً . فإذا خرج إمامه قُدُّوا مصحفهم ، فمَنْ جاء بعدَهُ جاءَ لَيْلٍ صلاة وما كتبه به عمل ، وحلَّ على كل حرم أن يفتسل يومئذ كاستساله من خاتمة . والصدقة فيه أفضل من صدقة في سائر الأيام ، وه تطلع الشمس ولا تعرب على مثل يوم الجمعة . قدس بن عباس : هذا حديث كعب وأبي هريرة ، وإن رأى إن كان لأبيه بهيئته يُعَسِّرُ منه » والحديث قدس عنه علماء الحديث : إسناده صحيح

### ١٥ - استحباب التفرغ لأعمال الآخرة

يُستحب أن يُتفرغ يوم الجمعة لأعمال الآخرة ، ويُكفَّ عن جميع أشغال الدنيا . فله سبحانه وتعالى جعل لأهل كل بلدة يوماً يتفرغون فيه لعبادة ، ويتخلَّون فيه عن أشغال الدنيا ، فيه الجمعة يوم عبادة ، وهو في الأيام كشهر رمضان في الشهور ، وساعة الإجابة فيه - كليلة القدر في رمضان .

وهذا من صَحَّ له يوم جمعه وسَلَّمَ سَلَّمَ له سائر جمعه ، ومن صَحَّ له رمضان وسَلَّمَ سَلَّمَ له سائر سنته ، ومن صَحَّت له حجة وسَلَّمَ له صَحَّ له سائر عمره ، فيوم الجمعة ميزان الأسبوع ، ورمضان ميزان عام ، والحج ميزان العمر .

قال آدم بن أبي إياس : حدثنا شيبان أبو معاوية عن عاصم بن أبي النجود عن أبي صالح عن كعب الأحبار قل : ( إن الله عز وجل اختار شهر رمضان ، واختار الأيام ، واختار يوم الجمعة ، واختار الليل ، واختار ليلة القدر ، واختار الساعات ، واختار ساعة الصلاة ، والجمعة تُكْفَر ما بيننا وبين الجمعة الأخرى وتزيد ثلاثاً ، ورمضان يُكْفَر ما بينه وبين رمضان . والحج يُكْفَر ما بينه وبين الحج ، والعمرة تُكْفَر ما بيننا وبين العمرة ، ويوث الرجل بين حنتين : حسنة قضاها ، وحسنة ينتظرها ... الحديث .

شعر (١) :

عليكم بتقوى الله لا تحركوها	فإن التقوى أقوى وأزور وأغنى
إياكم التقوى خير الملابس كلها	وأنتهى أيضاً في الوجود وأجمل
فما أحسن التقوى وأغنى سبيلها	بها ينفع الإنسان ما كان يعمل
فما أشبه الإنسان بأدب إلى التقوى	وسارخ إلى الخيرات ما دمت متميل
وأكثر من التقوى ليحمد فيها	ندار الخزياء دَر سَوف تُمرى
وقد ليما تقدم عليه فانت	عند سَوف تُجوزى لئلا سَوف تُعلم
وأحسن ولا تهمل إذا كنت قادراً	فدار بني الذهب مكان الخرج
وأد قروض الذين واثق أداها	كوايل في أوقاتها ، انتقل
وسارخ إلى الخيرات لا تهيبها	فذلك إن هلك ما أنت مهمل
ولكن سيجزى بالذى أنت عامل	وعن ما مضى عن كل شيء مشغل
ولا تلهك الدنيا فربك ضامن	سرور تبارك صابرين متكفل

(١) من كتاب : المناهل الحسان : للشيخ عبد العزيز أحمد السلمان .

وذلكها فأغنىها وأغنىك إذ نها  
فمن ثمر الدنيا خير من يبيع  
وسدتها والجاء والعز والغنى  
فمن عاش في الدنيا وإن طال عمره  
ويشرب ذراً لا أئتمن أنه بها  
ويشرب زهناً بأغراب بما حتى  
بها بأهول يمشي يمشي  
وي يبع بعد الموت لشر سحائب  
وحشر يمشي الطفل وله هوى  
ونار تظلي في لظها سلاسل  
شراب قوي الإحرام ليا حيثها  
حمة وعشوق وأخر وله  
بزه هو من هزها ولا يرى  
وفي نره يلقى ذوماً ممسك  
عنه صراط مذخض ومرة  
وفي كلابه تعشق بالسورى  
فلا نسب يمشي ما يفتنى به  
فيه حرة غريب على رضى  
أعوز برى من خط وعذاب  
ومن حال من في زمرهم معص  
وحدث غداً وحرفك ثم ربيك  
هاكل . تقوى التوسر وشبهى  
ملاسله فيه حرير وسندس  
ومكوكه من كل ما ينشونه  
وأزجه حور جمان كواكب

عصراً وإشاراً إذ كنت تقين  
بالحرارة بالدنيا أضل وأجهل  
بأضدادها ضل فليل تبتل  
فلان عثها وأعباً شرف تفتل  
لكل السورى منه متعاد ومتوكل  
إلى بغيه من أوطيه حين يتسل  
ولا قول إلا بعد الغول أهول  
وميرن قسط ضئيل أو متقل  
ومنه الجبال الراسيت ترل  
تغل بها الشجر ثم يستل  
ورقها تظفرها حين يؤكل  
من ذوق يلقى في النور ويشعل  
إلى نقرها يقوى ذوماً وسر  
يصبح ليلاً ويحس يتوكل  
عليه التراب في القيمة تفضل  
فقد لها من وعيد مخزول  
وإن بعث يوماً فلا تعثر تفضل  
رغم الذى يره القربة بخصول  
ومن حال من يقوى به يتجدد  
ومن كان في الأغلال فيها مكبل  
يقدر على التقوى ذوماً تفضل  
وقد عبي ليس عنه ترحل  
واسترق لا يفتريه التحل  
ومن سلسيل شربيه يستل  
عن بطل شكل الشمس بن هو شكل

## الفصل الخامس

### خطبة الجمعة

#### أولاً: أحكامها . أركانها . آدابها

##### حكمها

ذهب جمهور أهل العلم إلى وجوب خطبة الجمعة ، واستدلوا على الوجوب بما ثبت عنه عليه السلام بالأحاديث الصحيحة ثبوتاً مستمراً أنه كان يخطب في كل جمعة ، واستدلوا أيضاً بقوله عليه السلام : « صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُوهُ أُصَلِّي » وقول الله تعالى : « فَاسْتَعِزُّوا بِذِكْرِ اللَّهِ » (نساء : ١٠٣) وهذا أمر بالسعي إلى الذكر فيكون واجباً ، لأنه لا يجب السعي لغير الواجب ، وبفسرُوا الذكر بالخطبة لاشتغالها عليه .

والمختلف في ذلك إلا الحسن البصري وداود الظاهري ومن تبعه . فقد ذهبوا إلى أنها مندوبة فقط ، وإليه ذهب ابن حزم والشوكاني في تيل الأرض .

والقول الرابع والصور هو قول الأئمة الأربعة وجمهور أهل السنة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يترك خطبة الجمعة في حالي ، وقد قال كما في صحيح البخاري : « صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُوهُ أُصَلِّي » فصلاة الجمعة مأمور أن تكون على الهيئة التي صلاحها رسول الله صلى الله عليه وسلم والحنفاء الراشدون المحدثون من بعده ومن تبعهم بحسان .

##### أركان الخطبة

أخرج مسلم عن جابر بن سمرة قال : « كانت للنبي صلى الله عليه وسلم خطبتان يخطب بينهما ، يقرأ القرآن ويذكر الناس » .

يُضَافُ عَلَيْهِم بِالَّذِي يُشْتَهَرُ  
تَوَاجِهَهَا تَذْكَو إِلَى مَنْ يُرِيدُهَا  
وَأَمَّا رَمَا الْأَبَانُ تَجْرِي وَأَعْلَى  
بِهَا كُلُّ أَنْوَاعِ الْفَوَاحِ كُنْهَا  
يُقَالُ لَهُمْ طِبْتُمْ تَلْعَنُ مِنْ الْأَذَى  
بِأَسْبَابِ تَقْوَى اللَّهِ وَالْعَمَلِ الَّذِي  
إِذَا كَانَ هَذَا وَالَّذِي قَبْلَهُ الْخِزَاءُ  
وَحَقُّ عَلَى مَنْ كَانَ بِاللَّهِ مُؤْمِنًا  
وَأَنْ يَأْخُذَ الْإِنْسَانُ زَادًا مِنَ التَّقَى  
وَلَنْ أَمَامَ النَّاسِ خَشْرًا وَمَرِيقًا  
فِي ذَلِكَ مِنْ يَوْمٍ عَلَى كُلِّ مُبْطِلٍ  
تَكُونُ بِهِ الْأَمْوَازُ كَالْعَيْنِ أَوْ تَكُونُ  
بِهِ مِدَّةُ الْإِسْلَامِ تُقْبَلُ وَحِذَاهَا  
بِهِ يُسْأَلُونَ النَّاسُ مَاذَا عَمِلْتُمْ  
حَسَابُ الَّذِي يَنْقَادُ عَرَضًا مُخَفَّفُ  
عَوْدًا بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ سَوْءِ صُلْعَةٍ  
بِهِ قُلْتُ عَلَى دِينِكَ الَّذِي  
وَحَبَّ لِي مِنَ الْفَرْدُوسِ قَصْرًا مُشِيدًا  
بِهِ خَصَّدَ دَالِمٌ بِدَاوُدَ  
يَزِيدُ عَلَى وَزْنِ الْخَلَائِقِ كُلِّهَا  
وَأَتَى بِحَسْبِ اللَّهِ فِي الْحَمْدِ أَبْنَى  
صَلَاةً وَتَسْلِيمًا وَأَرْكَى غِيَةً  
وَأَرْكَى صَلَاةَ اللَّهِ هَمَّ سَلَامُهُ

إِذَا أَكَلُوا نَوْعًا بَآخَرَ يَتَنَوَّأُوا  
وَسُكَّانُهَا مِمَّا تُشَوُّهُ يَخْطُلُ  
تَنَازُلُهَا عِنْدَ الْإِرَادَةِ يَنْتَلُ  
وَيَحْمَرُّ وَنَاءُ شَسْبِلُ مُنْثَلُ  
سَلَامٌ عَلَيْكَ بِالسَّلَامَةِ فَادْخُلُوا  
يُحِبُّ إِلَى جُنَاتٍ عَذْبٍ تَوْصَلُوا  
فَحَقُّ عَنِ تَنْبِيْنٍ بِاللَّذْنِجِ تَهْمَلُ  
يُقَدِّمُ لَمْ خَيْرًا وَلَا يَتَعَلَّلُ  
وَلَا يَسْنَأُ انْفَرَى وَلَا يَتَمَلَّلُ  
وَبِذَا طَرِيقًا أَلْفَ عَامٍ وَطَوَّلُ  
نَظَرُكُمْ وَهُوَ الْغِيَاةُ تَعْبَلُ  
كُنْيسًا نَبِيْدًا هَيْلًا يَنْهَلُ  
وَلَا غَيْرَهُ مِنْ نَى دِينٍ تَيْتَلُ  
وَمَاذَا أُحِبُّكُمْ مِنْ دَعَا وَهُوَ مُرْسَلُ  
وَمَنْ لَيْسَ لِقَادًا حَسَابُ تَنْتَلُ  
وَسَأَلْتُ حَسْبَ تَحْمَرُّ وَتَوَّلُ  
رَضِيَتْ بِي دِينًا وَإِيَّاهُ تَقْبَلُ  
وَمَنْ حَبِيبٌ مِمَّا أُنْعَمُ  
مَدَى الدَّهْرِ لَا يَنْقُي وَلَا الْحَمْدُ يَكْمَلُ  
وَرُحْبُ مِنْ وَزْنِ جَمِيعِ وَتَقْبَلُ  
وَأَتَى بِحَسْبِ نَبِيْ قَوْلِي وَأَنْبَى  
تَعْلَمُ جَمِيعَ الْعَرَبِيِّينَ وَتَسْمَلُ  
عَلَى الْمُصْطَفَى أَرْكَى الْبَرِيَّةِ تَنْتَلُ

وعن ابن عمر : أن النبي ﷺ كان يخطب يوم الجمعة لم يجلس ، لم يقوم ليخطب مثل ما تفعلون اليوم ، أخرجه البخاري ومسلم .

قال البيهقي رحمه الله في شرح السنة : « خطبة الجمعة فريضة ، وإتمام في الخطبتين والقعود بينهما فرض ، إلا أن يعجز فيقعد ، ويجوز بعضهم الخطبة قاعداً » .

وقال ابن حجر في الفتح : « قال ابن المنذر : الذي حمل عليه جُل أهل العلم من علماء الأمصار ذلك ، أي الخطبة قائماً ، ونقل غيره عن أبي حنيفة في الخطبة أنها سنة وليس بواجب ، وعن مالك رواية أن القيام واجب ، فإن تركه أساء وصححت صلاته . وجمهور أهل العلم أن القيد في الخطبة يُشترط للمقادر كالصلاة » .

وذهب الشافعية - كما في المجموع للنووي - إلى أن تفهؤ خطبتين شرط لصحة صلاة الجمعة ، حديث : « صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُوهُنَّ يُصَلُّنَ » رواه أهل الترمذي والبيهقي إلا خفتين : وما في الصحيحين من حديث ابن عمر : « كان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة خطبتين يجلس بينهما » .

ورحب في كل منهما حمد الله تعالى والصلاة على رسول الله ﷺ والوصية بشقوى الله واجتناب معصيته ، وحب قراءة آية من القرآن في إحدى الخطبتين عن ما ذكره الشافعي في الأم ، ويُستحب كونه في الأولى . وسعداء المؤمنين والمؤمنات في الثانية « أحد ملخصاً » .

وذهب المخالفة - كما في المعنى - إلى أنه يُشترط لتجتماع خطبتين لأحد أحيانا مقام الركعتين ، فكل خطبة مكانة ركعة والإخلال بإحدهما كالإخلال بإحدى الركعتين ، ويُشترط فيهما حمد الله تعالى والصلاة على رسوله والوعظة . وقيل بوجوبها في الثانية ، وأما قراءة آية من القرآن فيقبل شرط لكل واحدة من الخطبتين ، وقيل في إحداها . ويُستحب الدعاء للمؤمنين والمؤمنات « أحد ملخصاً » .

وذهب المالكية - كما في الشرح الصغير والكبير - إلى أن الخطبتين شرط لصحة الجمعة قبلها في المشهور ، فلو ترك إحداها لم تصح الصلاة .

أما الحنفية فقد ذهبوا إلى أن الخطبة شرط لصحة الجمعة ، كما بيَّناه سابقاً . والسنة أن يخطب الإمام خطبتين خفيفتين ، يفتح أولاً بما حمد الله تعالى عليه والشاهد والصلاة على رسول الله ﷺ ، ثم يعظ الناس ويذكرهم . ويقرأ سورة ، ثم يجلس جلسة خفيفة ، ثم يقوم فيخطب الخطبة الثانية : بحمد الله تعالى فيها ويشيئ عليه ويصلي على رسوله ويدعو للمؤمنين والمؤمنات . وقد درج المسلمون على ذلك في جميع الأعصار شاعراً بسنة المأثورة عن رسول الله ﷺ .

### الجلوس بين الخطبتين

قال بوجوب الجلوس بين الخطبتين الإمام الشافعي وأحمد . وذهب ابن قدامة صاحب كتاب ( المعنى ) إلى عدم وجوبها وقال : لم يوجبها أكثر أهل العلم ، لأنها جلسة ليس فيها ذكر مشروع فيه شيء .

أما قوله جلسة فإن العلماء انصروا حصة الأسبحة بقدر ما يقرأ سورة بإخلاص . ١٠٠ في حكمه : للفصل بين الخطبتين أو للراحة .

### الخطبة باللغة العربية الفصحى

شرعت حصة الجمعة بوعظ وذكر وارشاد الأمة إلى ما فيه خيرها ودينها ونجاتها . ولا بد من أن يكون ذلك باللغة العربية التي تفهمها جميع الناس ، وتأتي من غير غش أو تحريف أو زور أو شوب . وكما كان الخطيب أصبح يقرأ ، ويصيح مدافعاً ، وأحياناً كلاماً ، وحكم أسلوباً ، كان أشد للفومر أسراً ، ويقلوب امتلاكاً ، والأصابع سترعاً .

قال النووي : السنة في حصة أو تكون باللغة الفصحى ، بليغة مرئية مبيحة من غير تعصير ولا تقوير . وإن لا تكون ألفظاً مبتذلة متفحفة ، فإنها لا تأتي في سنوس موقفاً كاملاً ، وإن لا تكون وحشية لأنه لا يحصل مقصودها ، بل تُختار في ألفاظ خزانة المفهومة ، وتكره الكلمات المشتركة ( أي التي تحتل محل مصطلح ) والعبارة عن الألفاظ وما يكاد عقول الحاضرين « أحد » .

وقال ابن قدامة الخليلي : « ويستحب أن يكون الخطيب ل عظمه مترسلاً  
نبأاً مغرباً ، لا يُجَلُّ فيها ولا يقطعها » اهـ .

وقال الشوكاني : « يستحب للخطيب أن يُعَلِّم أمر الخطبة ، ويرفع صوته ،  
ويُجَرِّل كلامه » اهـ .

فهذه أقوال جماهير الأئمة من الشافعية والمالكية وغيرهم ، فيما ينبغي أن تكون  
عليه خطبة الجمعة .

وذهب الإمامان أبو يوسف ومحمد بن الحسن صاحب الإمام أبي حنيفة رضي  
الله عنهم إلى أن الخطبة في حالة العجز عن العربية ( أي من الخطيب والسمعين )  
تكون بلغة أخرى وهي التي يفهمها السامعون ، بخلاف حالة القدرة على العربية ،  
فإنه يشترط أن تكون الخطبة بها .

ولا شك أن فيما ذهب إليه تيسيراً على الناس وتوفيقاً حسناً ، ورعاية لآثر الشعوب  
الإسلامية على اختلاف لغاتها ، وتحقيقاً لحكمة الشارع في تشريع خطبة الجمعة  
لخاعة المسلمين . ومن أجل هذا ينبغي أن نحمل عبارات النووي وابن قدامة  
وأضرابها على ما إذا كانت الجماعة والخطيب من الشعوب التي تعرف العربية .  
والخلاصة من ذلك أن الخطبة في بلادنا تكون باللغة القصصية لا العامية ،  
وإن الشعوب غير العربية تكون بلغاتها المعروفة . فمن العيب أن يُترجموا بلسان  
الخطبة من خطيبهم باللغة العربية وهم لا يفقهونها ، ومن الخير لهم الذي قصده  
الشارع بخطبة الجمعة أن تكون باللغة التي يفهمونها ويسركون معانيها ، وإن كان  
عليهم أن يتعلموا لغة القرآن ليقيموا عليه ، ويهلوا منه ، ويستقوا من نبعينه ، إذ  
لا يمكن فهم مراميهِ والإحاطة بمعانيهِ إلا بلغته التي نزل بها ، وهو دستور  
الإسلام ، وإليه المرجع في الأحكام .

#### هدى النبي ﷺ في خطبة الجمعة

لم تكن خطبة النبي ﷺ تقليدية ، لا حياة فيها ولا روح ، ولا رسالة فيها  
ولا توجيه ، بل كانت متصلة بالحياة وبالواقع كل الاتصال ، يقول جابر بن

عبد الله رضي الله عنه : « كان النبي ﷺ خطيباً محمّداً ، وعلاء صوته ،  
واشد غضبه حتى كأنه منثر جيل ، ينثر صبحكم ومساءكم » رواه —

قال النووي في شرح هذا الحديث : « يستدل به على أنه يستحب للخطيب أن  
يفتح أمر الخطبة ، ويرفع صوته ، ويجزل كلامه ، ويكون مطابقاً للفصل الذي  
يتكلم فيه من ترويض أو ترويب ، ولعل اشتداد غضبه ﷺ كان عند إنذاره أمراً  
عظيماً وتحذيره خطباً جليلاً » .

قال العلامة ابن القيم في ( زاد المعاد ) : « وكان يعلم أصحابه في خطبته قواعده  
الإسلام وشرائعه ، وكان يأمرهم وينهاهم في خطبته إذا عرض له أمر أو شيء » .

ويقول منتقداً للخطباء المتأخرين : « طال العهد ، وغنى نور النبوة .  
وصارت الشرائع والأوامر رسوماً تُقام في غير مراعاة حقائقها ومقاصدها .  
فأعطوها صورها ، وزينوها بما زينوها به فحسبوا الرسوم والأوضاع سنناً لا يسى  
الإحلال بها . وأغلبوا بالمقاصد شي لا يسى الإحلال بها ، فحسبوا الحق  
بالتسليم والقبول عند البديع ، نقص بل عده حظ القلوب منها ، وفاتت النفوس  
بها » .

ورغم أن خطبة ﷺ كانت وقعية دقيقة بالحياة والنور والتأثير ، لم تكن صيغة  
محمّلة ، شأن خطبة الجوامع اليوم ومحاضرات الطلبة ، التي يتبارون بها .  
ويتناوون فيها المسائل الغريبة الموقفة ، التي تغلب المناقشة والجدل الكبير ، وتثير  
إنكار كثير من المستمعين ومتعاضهم ، وتفتقد الخطيب والجوامع قدسها وحلاها  
وغزاتها - بل كانت كحديث كلامه قولاً معشراً ، لا فضول فيه ولا تقصير .

يقول جابر بن سمرة رضي الله عنه : « كانت صلاة النبي ﷺ قصداً ،  
وخطبته قصداً ، يقرأ آيات من القرآن ويذكر الناس » رواه مسلم وأصحاب السير .

وفي رواية لمسلم : « كان ﷺ لا يبطل سرعظة يوم الجمعة ، إنما من كنهت  
بسيرات » .

وكان ﷺ يقول : « إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته ميثقة من فقهه ،  
فأطيلوا الصلاة وأنصروا الخطبة » رواه مسلم عن عمار .





وقال ابن عبد البر : « الذي عليه أصحنا أن نصمت فرض واجب بسنة النبي ﷺ ، وهي سنة مجتمع عليها معمول بها ، وقد أجمعوا أن مَنْ تكلم ولغا لا إعادة عليه للجمعة ولا يقال له صلها ظهراً ، أم . »

وأما ما رواه ابن عزيمة من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً : « مَنْ لغا ونطى رقاب الناس كانت له ظهراً ، فقد قال ابن وهب أحد رواة : معناه اجزأت عنه الصلاة وحرم فضيلة الجمعة . »

#### آداب الجلوس في المسجد يوم الجمعة والنهي عن التخطي إلا الحاجة

١ - عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يقيم أحدكم يوم الجمعة ثم يخالفه إلى مقعده ولكن ليقل التحوا » رواه أحمد ومسلم .

٢ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ : « أنه نهي أن يُقام الرجل من مجلسه ويجلس فيه ، ولكن تفسح وتوسعوا » . وفي رواية البخاري : « قلت لأبي : الجمعة ؟ قال : الجمعة وغيرها ، تنفرد عليه . »

٣ - ولأحمد ومسلم : « كان ابن عمر إذا قام به رجل من مجلسه لم يجلس فيه » .

٤ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا قام أحدكم من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحقر به » رواه أحمد ومسلم .

« قال أصحاب الشافعي : إن ذلك على وجه السب لا على وجه التحريم ، وإليه ذهب مالك . قال أصحاب الشافعي : ولا فرق في المسجد بين مَنْ قام وترك له سجادة فيه ولحواها وبين مَنْ لم يترك ، قالوا : وإذا لم يكن أحقر به في تلك الصلاة وحدها دون غيرها . »

ولعل اعتناق ابن عمر عن الجلوس في مجلس مَنْ قام له رضاه كان نورعاً منه ، لأنه ربما استحيها منه إنسان فقام له بدون حياء من نفسه ، ولكن الظاهر أن مَنْ فعل ذلك قد أسقط حق نفسه ، ونحويز عده طيبة نفسه بذلك بخلاف الظاهر .

ونكره الإيثار بحمل الفضيلة كالقباه من الصف الأول إلى الثاني ، لأن الإيثار وسوء طرائق الآداب لا يميز أن يكون في العبادات والفضائل ، بل المعبود أنه في حفظ النفس وأمر الدنيا ، فمن أثر يحفظه في أمر من أمور الآخرة فهو من الزاهدين في الثواب (١) .

٥ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا ثمن أحدكم في عسبة يوم الجمعة فليتحول إلى غيره » رواه أحمد والترمذي وصححه .

٦ - وعن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا ثمن أحدكم يوم الجمعة فليتحول إلى مكان سائب ويحول مسجبه مكانه » رواه الطبراني الكبير ورواه .

والحكمة في الأمر بالحول أن الحركة تذهب النعاس ، ويعمل أن الحكمة فيه انتقاله من المكان الذي أصابه فيه نعسة بنومه ، وإن كان النائم لا حرج عليه ، فقد أمر النبي ﷺ في قصة نومهم عن صلاة الصبح في الوادي بالانتقال منه وقال ﷺ : « لقد خسرني في شيطان » .

٧ - وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : « جاء رجل يشتغل رقاب الناس يوم الجمعة والنبي ﷺ يحض ، فقال له رسول الله ﷺ : اجلس فقد آذيت » رواه أبو داود والترمذي .

وفي رواية أحمد : « فقد آذيت وآذيت » .

ومعنى آذيت : يعني آذيت المسلمين تحطيت رقابهم .

ومعنى آذيت : يعني آذيت وتضررت .

قال الشافعي : « نكره غطي الرقاب يوم الجمعة قبل دخول الإمام وعده ، بقا فيه من سوء الأدب » .

وروى ابن القاسم عن الإمام مالك قال : « نكره التخطي إذا قعد الإمام على المنبر ، ولا بأس به قبل ذلك ، إذا كان بين يديه قرع » .  
(والقرع : السعة بين الاثنين) .

(١) نيل الأوطار ، للشوكاني - الجزء الثالث - ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ .



إلا في الاستسقاء . وأنه يرفع يده حتى يرى بياض إبطيه ، أخرجه البخاري .  
 قال رحمه الله : « رفع اليدين في الخطبة غير مشروع ، ولي الاستسقاء سنة ،  
 فإن استسقى في خطبة الجمعة يرفع يده ابتداءً بالنبي ﷺ » .  
 وهو قول الإمام مالك رحمه الله ، كما ذكره الخافظ في الفتح .

## ثانياً : نماذج من خطب النبي ﷺ

« يسمع الناس بعد القرآن الكريم بكلام فط أعم نفعاً ، ولا تصدق عطاء .  
 ولا أصل وزناً ، ولا أصل مذهباً ، ولا أكرم مطلباً ، ولا أحسن مرفعاً .  
 ولا تصحح عن معده ، ولا أتبع عن فحواه ، من كلام سيدنا محمد ﷺ . لأنه  
 الكلام الذي قلت حروفه ، وكثرت معناه ، وجلت عن القصة ، وتزده عن  
 التكلف ، ولم ينظر عن الغوى ، إن هو إلا وحى يوحى ، علمه شديد القوى .  
 ومنه نرى شوق إذ يقول :

وإذا حطت بسمتاير جزاً لغرو الشدى وللقلوب بكاء

### أول خطبة بمكة بدعوهم إلى الإيمان

« حج فوره وحج الله . وأنتي عنه لم قل : إن الرائد لا يكذب أنه .  
 لم كدث سر جميعاً ما كذبكم ، والله الذي لا إله إلا هو إن رسول الله  
 بكم حجة . وإن الناس كافة . والله التموئن كما تتامون ، وتكفون كما  
 تسقطون . وتكفون كما تكفون . وتكفون بالاحسان إحساناً وبالنسب نسباً .  
 وبها نجت أمة أو سار أمة ، أحييت أمة بن الأثير في الكاس .

### من أوائل خطبه بالمدينة المنورة

أخرج البيهقي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال :  
 كانت أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ بالمدينة أن قام فيهم ، فحمد الله وأثنى  
 عليه بما هو أهله ثم قال : « أما بعد ، أيها الناس ، فقدموا لأنفسكم ، فاعلموا والله

يَكْمُنْتُمْ<sup>(١)</sup> أَحَدَهُمْ ، هُمْ لَيْدِعُونَ غَسَهُ نَاسٍ غَارِاعٌ ، هُمْ لَيَقُولُونَ لَهُ رَبُّهُ ، وَلَيْسَ لَهُ تَرْجِيَانٌ وَلَا حَاجِبٌ بِحُجَّةِ دُونِهِ : أَمْ بِأَنَّكَ رَسُولِي قَبْلَكَ ، وَأَتَيْتُكَ مَالًا ، وَأَفْضَلْتُكَ هَلِكًا ؟ فَمَا قَدُمْتَ لِلنَّاسِ ؟ فَيَنْظُرُ بَيْنًا وَخَلَالًا فَلَا يَرَى شَيْئًا ، ثُمَّ يَنْظُرُ قَدَامَهُ فَلَا يَرَى غَيْرَ جَهَنَّمَ ، بَيْنَ سِتْطَاعٍ أَنْ يَقَى وَجْهَهُ مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِمَنْقُوعَةٍ فَلَيَقْعَلُ ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَيَكْنَعُ ظَنِيَّةً ، فَإِنْ بِهِ تُجْزَى الْخَمْسَةُ عَشَرَ أَمْشَاقًا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

ثم خطب رسول الله ﷺ مرة أخرى فقال : « إِنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ أَحْمَدُهُ وَأَسْمَعُنِيهِ ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسًا مَيِّتًا أَعْمَلْنَا ، مَنْ يَهْدِي اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، إِنْ أَحْسَنَ الْخَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، فَدَأْبُكَ مِنْ رَبِّهِ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ ، وَأَدْخَلَهُ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْكُفْرِ ، وَاخْتَارَهُ عَلَى مَا سِوَاهُ مِنْ أَحَادِيثِ النَّاسِ ، إِنَّهُ أَحْسَنُ الْخَدِيثِ وَأَبْلَغُهُ ، أَجْبُوا مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ ، أَجْبُوا اللَّهَ مِنْ كُلِّ تَوَكُّعٍ ، وَلَا تَسْلُوكُوا كَلَامَ اللَّهِ وَذِكْرَهُ وَلَا تُقْسُوا عَنْ قُلُوبِكُمْ ، رَبُّهُ مَنْ كُنَّ مَخْلُوقَاتُهُ بِخَيْرٍ وَمُصْطَفَى ، اللَّهُ سَيِّدُهُ فِي خَيْرِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَخَيْرُهُ مِنَ عِبَادِهِ ، وَالصَّخْرُ مِنَ الْخَدِيثِ ، وَمَنْ كَلَّمَ أَوَّلِيَّ النَّاسِ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، فَاعْبُدِ اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَاتَّقُوا حَتَّى تُفَاتَهُ ، وَاصْدُقُوا اللَّهَ مَا تَقُولُونَ ، تَوَاضَعُوا لِرُوحِ اللَّهِ جُنُكُم . إِنْ شَاءَ يَنْضَبُ أَنْ يَنْكُثَ عَهْدَهُ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . »

#### خطبته ﷺ لى الجمعة

أخرج ابن جرير عن سعيد بن عبد الرحمن الجمحي أنه بلغه عن خطبة رسول الله ﷺ في أول جمعة صلّاها بالمدينة في بني سالم بن عوف :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ ، أَحْمَدُهُ وَأَسْمَعُنِيهِ وَأَسْتَعِيزُهُ ، وَأَرْمَنُ بِهِ وَلَا أَكْفُرُهُ ، وَأَعَادِي تَنْ يَكْفُرُهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَالنُّورِ وَالْوَعْدَةِ ، عَلَى قَفَرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ، وَقَلْبَةٍ مِنَ الْعِلْمِ ،

(١) الصعق : أَنْ يَهْشَى عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ صَوْتٍ شَدِيدٍ يَسْمَعُهُ ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَ فِي الْمَوْتِ كَثِيرًا .

وَضَلَالَةٍ مِنَ النَّاسِ ، وَانْقِلَاعٍ مِنَ الزَّمَانِ ، وَذُلُّهُ مِنَ السَّاعَةِ ، وَفَرَبٌ مِنَ الْأَجَلِ مَنْ بَصَحَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ لَقَدْ وَشَدَّ ، وَمَنْ يَعْصِيهِ لَقَدْ غَوَى وَبُذِرَ وَضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا . وَأَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَإِنَّ خَيْرَ مَا أَوْصَى بِهِ الْمُسْلِمُ الْمُسْلِمَةَ أَنْ يَعْظُمَ عَلَى الْأَمْرِ وَأَنْ يَأْمُرَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَاحْذَرُوا مَا حَذَرَكُمُ اللَّهُ مِنْ نَفْسٍ ، وَلَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ تَصَبُّحًا وَدُفْعًا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ذِكْرًا ، وَأَنْ تَقْوَى اللَّهَ مَنْ مَنَ بِهِ عَلَى وَجْهِ دُخَانٍ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَصْلُقَ عَنِ مَا تَبْغُونَ مِنْ أَمْرِ الْأَمْرِ ، وَمَنْ يَصْلَحِ الَّذِي يَبْهِي وَبَيْنَ اللَّهِ مِنْ أَمْرِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، لَا يَهْدِي سَبِيلَ إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ ، يَكُنْ لَهُ ذِكْرٌ فِي عَجْرِ أَمْرِهِ وَذِكْرًا فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ حِينَ يَنْفِرُ الْمَرْءُ إِلَى مَا قَدَّمَ ، وَمَا كَانَ مِنْ سِرِّ ذَلِكَ يَوْمَ لَوْ أَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ، وَخُذِرَكُمْ اللَّهُ بِسَمِهِ وَاللَّهُ وَرُؤُوسُ الْعَالَمِ . وَالَّذِي صَدَّقَ قَوْلَهُ وَأَنْجَزَ وَعْدَهُ لَا خَيْفَ لَكُمْ لِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ، فَإِنَّهُ يَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ : « مَا يُدْرِيكَ الْغُلَّالُ لَدَيْ وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ » فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي حُلِيِّ أَمْرِكُمْ وَآخِرِهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ، وَمَنْ يَنْتَهِ عَنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ عَظِيمًا ، وَإِنْ تَقْوَى اللَّهَ تَوْفَى مُثْقَنًا ، وَتَوْفَى عَفْوَةً ، وَتَوْفَى سَعْدًا ، وَإِنْ تَقْوَى اللَّهَ تَبْهِي لَوَجْهَهُ ، وَتَرْضَى الرُّبَّ ، وَتَرْضَى الدَّرَجَةَ ، حَسْبُ عَمَلِكُمْ وَلَا تَرْضُوا فِي حُبِّ اللَّهِ ، فَدَعَاكُمْ اللَّهُ كِتَابَهُ ، وَبَهَّجَ لَكُمْ سَبِيحَهُ بِعَمَلٍ لَدَيْهِ صَلَوَاتُكُمْ وَيَقْلَمُ الْكَاتِبِينَ ، فَأَخْبِرُوا كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ، وَاعْبُدُوا اللَّهَ ، وَاجْعِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ، هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَسَّكُمْ أَسْحَابُ ، يُبَيِّنُ لَكُمْ مَرِّ هَلِكِكُمْ عَنْ بَيْتِهِ وَيُنْجِيَا مِنْ حَقٍّ عَنْ بَيْتِهِ ، وَلَا تَوَلَّوْا إِلَّا بِاللَّهِ ، فَكُفُّوا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَاعْبُدُوا مَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَصْلَحْ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ يَكْفِهِ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ . ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ يَقْضِي عَلَى النَّاسِ وَلَا يَقْضُونَ عَلَيْهِ . وَيَمْلِكُ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَمْلِكُونَ بِهِ ، اللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

ثم انقطع من كثير من المدينة : هكذا أورده ابن جرير وفي نسخة إرساء .

#### خطبة عظيمة له ﷺ لى استقبال شهر رمضان

أخرج ابن خزيمة عن سلمان رضي الله عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ و

آخر يوم من شعبان ، قال : يا أيها الناس ، قد أنزلكم شهر عظيم مبارك ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، شهر جعل الله صيامه فريضة ، وقيام ليله تقوى ، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة ، وشهر يزيد في رزق المؤمن فيه ، من فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء . قالوا : يا رسول الله ، ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم ، فقال رسول الله ﷺ : يعطى الله هذا الثواب من فطر صائماً على ثمرة أو على شربة ماء أو مذقة لبن . وهو شهر أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار ، من خفف عن مملوكه فيه غفر الله له واعتقه من النار ، فاستكثروا فيه من أربع عصال ، خصلتين ترضون بهما ربكم ، وخصلتين لا غنى بكم عنهما : فأما الخصلتان التان ترضون بهما ربكم فهما أن لا يله إلا الله وتستغفروا ، وأما الخصلتان التان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله الجنة ، وتعدون به من النار ، ومن سقى صائماً سلة الله من حوضي شربة لا يقبض حتى يدخل الجنة .

أخرج مسلم عن حمير بن عبد الله في قصة الخج وفيه : فاجهر رسول الله ﷺ حتى أتى عرفة ، فوجد القبة قد ضُربت له بنمرة فنزل بها ، حتى إذا راغبت الشمس أمر بالفسوةا فدخلت له ، فأتى بطن الوادي فخطب الناس وقال : إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ، ودماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أضعه من دماء دم ابن ربيعة بن الحارث ، كان مترسعا في بني سعد فقتلته هذيل ، ودماء الجاهلية موضوعة ، وأول ما أضعه من دماء دماء العباس بن عبد المطلب فإنه موضوعة كله ، واتقوا الله في النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، وأنكم عيين أن لا يؤذن

وَشَكَ أَحَدًا لَكُمْ هَوْنًا ، وَبَنَ فَعَلًا ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ صَرْجًا غَيْرَ مَرْجٍ . وَهَلْ عَلَيْكُمُ الرَّفْقُ وَكَسِيرٌ مِمَّنْ يَعْرِفُونَ . وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ سَلِيلًا فَطُيِّرْ بَعْدَهُ إِنْ عَنَصْتُمْ : إِنَّ كِتَابَ اللَّهِ ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنْهُ فَمَا أَنْتُمْ فَاثِتُونَ ؟ قَالُوا : شَهِدْتُ أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ وَنَصَحْتَ وَأَذَيْتَ ، فَقَالَ بِأَصْبَحَةِ السَّيَابَةِ بِرَفْعِهِ رَأَى السَّمَاءَ وَبَكَتْ رَأَى النَّاسَ : لَمْ أَشْهَدْ ، اللَّهُمَّ أَشْهَدْ ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ .

وأخرج ما ذكره عن من عدى رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ حبس من  
 من حمله بدهاق يده : **أَفْ قَدْ يَسَّ الشَّيْطَانُ بِأَنْ يَفْتِنَهُ بِأَرْضِكُمْ** ، ولكنه رضى أن  
 يصح فيه سوى ذلك مما تدفرون من أعمالكم ، فاحذروا أيها الناس ، وروى  
 أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن عيسى بن أحمد : **كُتِبَ لِي** . وثمة في الحديث ،  
**كُلِّي مَسْأَلَةُ أَخِي أَسْلَمَ ، الْمُسْلِمُونَ إِهْوَاءٌ وَلَا تَهْلُ الْأُمُورُ مِنْ مَسْأَلَةٍ**  
**وَلَا مَا أَطْعَاهُ عَنْ حَبِيبٍ لَيْسَ بِهِ ، وَلَا تَقْضُوا وَلَا تَرْجِعُوا مِنْ بَعْدِي مَقْدَرًا**  
**خَبَرْتُ بِعَمَلِكُمْ رَوَيْتُ بِهِ** .

وأخرج البيهقي عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : خطبنا رسول الله ﷺ في أوسط أيام التشريق خطبة الوداع فقال : يا أيها الناس ، إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر ، إلا بالتقوى ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ألا هل بلغت ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : فليبلغ الشاهد الغائب .

ثالثاً : نماذج من خطب الصحابة رضى الله عنهم

١ - أبو بكر الصديق

خطبته رضى الله عنه لسماء ولبي الخليفة

أخرج ابن سعد والخطابي وغيرهما عن عروة قال : لما رَئِيَ أبو بكر خطب الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، أيها الناس قد وُئِدْتُ أُمْرَكُمْ ولست بخيركم ، ولكن قول القرآن : وسئل النبي السنين ، فعمسا أن أكبري لكبري النفس ، وإن أحق الحق الفجور ، وإن أقواكم عندي جعيف حتى آخذ منه حق ، وإن أضعفكم عندي التقوى حتى آخذ له الحق ، أيها الناس : إن الله أشبه وسئل الخديج ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن زغت فقضيني ، أقول نبي هذ واستغفر ساء لي ونكم .

خطبة له رضى الله عنه في التقوى والعمل الصالح

أخرج أبو نعيم في الحلية عن عبد الله بن عكيم قال : خطب أبو بكر رضى الله عنه فقال : أما بعد ، فإني أوصيكم بتقوى الله ، وأن تتنوا عنه بما هو عليه ، وأن تخلطوا الرغبة بالرغبة ، وتجمعوا الإلحاف<sup>(١)</sup> بالمسألة ، فإن الله تعالى نهي عن زكراً وعن أهل بيته فقال : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَذْهَبُونَ رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ ثم أعلموا عباد الله أن الله تعالى قد ارسل بحقه أنفسكم ، وأخذ على ذلك مواثيقكم ، واشترى منكم القليل القليل بالكثير

(١) الإلحاف .

الباني ، وهذا كتاب الله فيكم لا تقبلوا عجايبه ، ولا يُطفأ نوره ، تصدقوا تولوه  
وانتصحو كتابه ، واستبصرو فيه ليوم الحساب ، فإنما خلقكم للعبادة ، ووكل  
بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تعملون ، لم اعلموا عباد الله أنكم تفتنون  
وتروحن لي أجل تد غيب عنكم علمه ، من استطعم أن تنقضي الأجل وأنتم في  
عمل لله فافعلوا ولن تستطيع ذلك إلا بالله ، فسابقوا في مهل آجالكم قبل أن  
تنقضي آجالكم فيردكم إلى أسوأ أعمالكم ، فإن أفرأتم جعلوا آجالهم لغيرهم ،  
ونسوا أنفسهم ، فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم ، الوعا الوعا<sup>(١)</sup> ، اتجاء النجاة ، إن  
وراءكم طالباً حثيثاً ، أمره سريع ، وأخرجه أيضاً إلى شيء وحاكم واليهي بئله .  
وعند أحمد والنسائي وابن حبان وإسحاق عن أنس قال : خطبنا أبو بكر  
الصديق رضي الله عنه فقال : قام فينا رسول الله ﷺ فقام في هذا عام الأول .  
فقال : « سلوا الله العفو والعافية فإنه : يعطى أحد قط بعد اليقين أفضل من  
العافية ، وعليكم بالصدق فإنه مع البر وهما في الجنة ، وإياكم والكذب فإنه مع  
الفجور وهما في النار . لا تحسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تقاضوا ، ولا تذايروا .  
وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله » .

#### خطبة له في الترويح على الجهاد في سبيل الله

أخرج ابن عساکر عن أنس بن مالك حديثاً ، وذكر فيه : « وقام أبو بكر  
رضي الله عنه في الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله ﷺ  
وقال : إن لكل أمر جوامع ، فمن بلغه فهو حسبه ، ومن عمل لله عز وجل  
كفاه الله . عليكم بالخذ والنصد ، فإن النصد أبلغ ، ألا إنه لا دين لأحد لا إيمان  
له ، ولا أجر لمن لا حسبة له ، ولا عمل من لا نية له ، ألا وإن في كتاب الله من  
الثواب على الجهاد في سبيل الله لما ينبغي للمسلم أن يحب أن يخصص به ، هي  
النجاة التي دل الله عليها ونجى بها من الخزي ، وأخذ بها الكرامة في الدن  
والآخرة » وأخرجه ابن جرير لطريق عن أنس بن مالك .

(١) الوعا الوعا : أي المبادرة والإسراع بالنجاة .

## ٢ - عمر بن الخطاب

### خطبة لأمر المؤمنين عمر بن الخطاب حين ولي الخلافة

أخرج البيهقي عن الشعبي قال : لما ولي عمر بن الخطاب سعد بن  
فقال : « ما كان الله لي أن أرى نفسي أهلاً لجلسي بكر ، فترى قزاة » .  
فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أقرئوا القرآن فترؤوا به ، وعملوا به تكونوا من  
أهله ، وزاد أنفسكم فيه أن تؤمنوا . وترئوا للعرض لأكثر يوم تعرض عن  
الله لا تحصى منكم حافية . إنه لم يبلغ حق ذي حق لم يصح في معصية الله .  
ألا وري أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة ولي اليتيم ، إن ستميت خنت . وإن  
افترت أكلت بالمعروف .

### خطبة له رضي الله عنه في نصيح الرغبة وبيان حقه عليه

ذكر من جرير رضي الله عنه في تاريخه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه  
خطب قديراً بعد ما حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ . « أيها الناس ، إن  
بعض الفتن فقر ، وإن بعض الناس غنى ، وإنكم تصدقون ولا لا تكفون ،  
وتؤمنون ولا تذكرون ، وأنتم مؤجلون في دار غرور ، كتبت على عبيد رسول الله  
ﷺ يؤمنون بالوحي . فمن أسوأ شيئاً أبعث بسيرته . ومن أعمل شيئاً أبعث  
بعبادته . فأخبروا ما أحسن أخلاقكم والله أعلم بالسراير . ومن أظهر لنا شيئاً  
وزعم أن سيرته حسنة ، نصده ، ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسنة ،  
واعلموا أن بعض الشئ شعبة من النفاق ، فأنفخوا في خير أنفسكم ومن يوق  
شئ نفسه فأولئك هم المفلحون » .

أيها الناس أطوبوا مشركاً ، وأصلحوا أموركم ، واتقوا الله ربكم ، ولا تيسروا  
نساءكم القضا<sup>(١)</sup> فإنه إن لم يكتف فإنها تصف .

(١) القضا : جمع قضية وهي ثياب مصرية رقيقة بيضاء .



أيها الناس ، إني لو دُفِنْتُ أن أنجز كفافاً لآتي ولا عسى . إني لأرجو أن غُفِرَتْ  
فيكم بسيراً أو كثيراً أن أعمل بالحق فيكم إن شاء الله ، وألا ينفي أحد من  
المسلمين - وإن كان في بيته - إلا أنه حقه ونصيبه من مال الله ، ولا تجعل إليه  
نفسه ولم ينصب إليه يوماً ، وأصلحوا أموالكم التي رزقكم الله ، وأقلبوا في رفته  
خير من كثير في عنف ، واقتل حَتَفَ من الخنوف بصيب من الفاجر ، والشهيد .  
من احتسب نفسه ، وإذا أراد أحدكم بغيراً فليُعَمِدْ إلى "ضويل" عظيمة فليضربه  
بعضاءه ، فإن وجده حديد الفؤاد فليقتله .

#### خطب له متفرقة رضى الله عنه

وأخرج البيهقي عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : كان عمر بن الخطاب رضى  
الله عنه يقول في خطبته : « أفلح منكم من حَفِظَ من الخوى والغضب والطمع ،  
وَدَفَّقَ إلى الصديق في الحديث ، فإنه يجره إلى الخير ، مَنْ يكذب بهجر ، ومن  
ينجر بهلك ، وإياكم والفجور ، ما فجور من خلق من الشر - وإن التراب يعود ؟  
اليوم حتى وغداً ميت ، اعملوا عمل يوم يوم ، واجتنبوا دعوة حظيرة ، وعدوا  
أنفسكم من الموت . »

وأخرج البخاري في الأدب وابن خزيمة عن قبيصة قال : سمعت عمر رضى الله  
عنه وهو يقول على المنبر : « مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ ، وَمَنْ لَا يَغْفِرُ لَا يَغْفَرُ لَهُ ،  
وَمَنْ لَا يَتُوبُ لَا يُتَبَّ عَلَيْهِ ، وَمَنْ لَا يَتَّقِ لَا يَوْفَهُ . »

وأخرج أحمد عن علقمة بن وقاص الليثي أنه سمع عمر بن الخطاب رضى الله  
عنه ، وهو يخطب الناس وهو يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنما العمل  
بالنية ، وإنما لأمرى ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله وإلى رسوله فهجرته إلى  
الله وإلى رسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يزوجها فهجرته إلى  
ما هاجر إليه . »

وأخرج ابن سعد عن سليمان بن يسار قال : خطب عمر بن الخطاب الناس  
في زمان الرمادة ، فقال : « أيها الناس ، اتقوا الله في أنفسكم ، وفيما غاب عن

الناس من أمركم ، فقد أثبت بكم وأثبتكم في ، فما أدرى السخطة على دينكم  
أو عيكم دون ، أو لم عشتي وعشتكم ، فاهلموا فلتدع الله ، يصلح فرب ،  
وإن يرحمنا ، وأن يرفع عنا عجل ، قال : قرئ عمر يومئذ والله يديه يدعونا ،  
ودعا الناس ويكفي ، ويكفي الناس ملياً ، ثم نزل .

#### ٣ - عثمان بن عفان

##### خطبة لأمر المؤمنين عثمان بن عفان لهما بربع باخلافة

أخرج ابن سعد عن إبراهيم بن عبد الرحمن الخزومي أن عثمان رضى الله عنه لما  
بُرع خرج إلى الناس محطته ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيها الناس ،  
إن أول مركب صعد ، وإن بعد اليوم أياماً ، وإن أقرت ثأنتكم الخصة عن  
وجهي . وما كنا خطباء ، وسبحان الله . »

##### خطبة له رضى الله عنه في الزهد والعمل للأخيرة

أخرج ابن جرير الطبري في تاريخه من طريق سيف عن بدر بن عثمان عن  
عنه ، قال : لما بايع أهل السورى عثمان خرج وهو أشد كآمة ، فأق من رسول  
الله ﷺ وقال : « إنكم في دار قُلعة<sup>(١)</sup> ، وفي بقية أعمار ، فادعوا آجالكم خير  
ما تقربون عليه ، فقد أثبت ، عشتكم أو مُسْتَبِيم ، ألا وإن الدنيا طوبت عن  
الغرور . اعتبروا بمن مضى ، ثم جدوا ولا تغفلوا ، فإنه لا يُغْفَلُ عنكم . »  
والدنيا رحمة الذين تاروها وعصروها واتبعوا بها طويلاً ؟ ألم تنظرونها ؟  
والدنيا حيث رمى الله بها ، ومثلوا لأخيرة ؟ فإن الله قد ضرب لها مثلاً ، وسمى  
هر حجر ، فقال عز وجل : « وَضَرَبَ لَهُم مَّثَلًا الدُّنْيَا كَالْمِرْآتِ الَّتِي

(١) أى تحول وارتحال .

السَّمَاءَ فَالْخِلْقَاطُ بِهِ ثَابِتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا . الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَالِيَاثُ لُصَاخَاتُ غَيْرٍ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَغَيْرُ أَثَلٍ ﴿١١٠﴾ (الكهف : ١١٠) .

#### خطبة في التحذير من اللعب بالترد

وأخرج البيهقي عن زيد بن الصلت أنه سمع عثمان وهو على المنبر يقول : يا أيها الناس ، إياكم والبسر - يريد الترد - فإنه قد ذُكرت في أنها في بيوت ناس منكم ، فمن كان في بيته فليخرجها أو يكسرها .  
وقال عثمان مرة أخرى وهو على المنبر : يا أيها الناس - إن قد كلمتكم في هذا الترد ، ولم أركم قد أخرجتموها ، فقد سمعت أن أمر نعيم الحطب ، فمرسل إلى بيوت الذين هم في بيوتهم فأحرقها عليهم .

#### آخر خطبة له رضى الله عنه

أخرج ابن جرير الطبري في تاريخه من طريق سيب بن - عن ابن عمر - عن عمه قال : آخر خطبة خطبها عثمان في جمعة : يا أيها عروجل إنما أعظاكم الدين لتظلبوا بها الآخرة ، ولم يعظكموها لتركوا إليها ، يا أيها الناس اتقوا الله ولا تبطلوا دينكم الفانية ولا تشغلوا عن الآخرة ، فأنتم ما يتي عن ما يبي ، فإن الدنيا منقطعة ، وإن الصبر إلى الله ، اتقوا الله جل وعز ، فإن تقواه جنة من يأمنه وبوسيلة عنده ، واحذروا من الله العز ، والزموا جماعتكم ، لا تصيروا أحزاباً ﴿١١١﴾ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ﴿١١٢﴾ آل عمران : ١٠٣ .

(١١) الترد : لعبة الطاولة .

#### ٤ - علي بن أبي طالب

##### خطبته في فضل شهر رمضان

أخرج الحسين بن يحيى القطان ، والبيهقي عن الشعبي قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا حضر رمضان يقول : يا هذا الشهر المبارك الذي فرض الله عليه ولم يفرض قبله ، ليحذر رجل أن يقول أصوم إذا صام فلان ، وأفطر إذا فطر فلان ، ألا إن الصيام ليس من الطعام والشراب ولكن من الكذب والحل والكفر ، ألا لا تقدموا الشهر ، إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه ففطروا ، فإن غمَّ عليكم فأنقوا بركة ... .

##### خطبة له رضى الله عنه في القبر وأهواله

أخرج الصدوق في العتق وابن عساكر عن علي أنه خطب فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر موت نفل : يا عباد الله ، والله الموت ليس به قوت ، نعم أنعمكم ، وإن مررتم به أدرككم ، فالتحاة النجاة ، والوحا النوحا ، وراءكم حجاب حيث : القبر ، فاحذروا ضغفته وظلمته ووحشته ، ألا وإن القبر حفرة من حفر النمل ، أو روضة من رياض الجنة ، ألا وإنه يتكلم في كل يوم ثلاث مرات ، فيقول : أنا بيت الظلمة ، أنا بيت الدرد ، أنا بيت الوحشة ، ألا وإن وراء ذلك ما هو أشد منه ، ثم حشرها شديد ، وفقرها بعيد ، حبسها حديد ، وحزنها مالك ، ليس لله فيها رحمة ، ألا وإن وراء ذلك جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، سمعنا الله وإياكم من المؤمنين ، وأجارنا وإياكم من العذاب الأليم .

وذكر ابن كثير في البداية هذه الخطبة عن الأصمعي بن نائلة قال : سمع علي رضي الله عنه ذات يوم المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر الموت - فذكر نحوه وزد بعد قوله ( أنا بيت الوحشة ) : ألا وإن وراء ذلك يوماً يشيب فيه

الصغير . ويسكر فيه الكبير ﴿ وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴾ (ذئب : ١) ثم بكى وبكى المسلمون حوله .

### خطبة له رضى الله عنه فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

أخرج ابن أبى الدنيا وابن عساكر عن يحيى بن يعمر أن علي بن أبى طالب رضى الله عنه خطب الناس ، نحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيها الناس ، إنما هلك من كان قبلكم بركوبهم المعاصى ، ولم يشبههم الربانيون والأحبار ، أنزل الله بهم العقوبات ، ألا فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر قبل أن ينزل بكم الذى نزل به ، واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يقطع رزقاً ، ولا يقرّب أحلاً ، إن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطر المطر إلى كل نفس بما قدر الله ، من زيادة أو نقصان فى أهل أو مال أو نفس ، فإذا أصاب أحداً النقصان من أهل أو مال أو نفس ورأى لغيره غيره ( أى غير النقصان ) فلا يكون ذلك فنة ، فإن المرء المسلم ما لم يفتش دناءة ، يظهر تحشماً لها إذا ذكرت ، ويعترى به لئام الناس كالباسر<sup>(١)</sup> والفالج<sup>(٢)</sup> ، الذى ينتظر أول فوزة من قداحه توجب له الشغف وتدفع عنه الشغف ، فكذلك المرء المسلم يرى من الحباثة أى ينتظر إحدى الحسنين إذا ما دعا الله : فما عند الله هو خير له ، وإما أن يرزقه الله مالاً ، فإذا هو ذو أهل ومال . الخرب سرفان : المال والبنون حرب الدنيا ، والعمل الصالح حرب الآخرة ، وقد يجتمعهما الله لأقوام .

قال سفيان بن عيينة : ومن يحسن أن يتكلم بهذا الكلام إلا من من أبى طالب .

(١) الباسر : القمار .

(٢) الفالج : الغالب فى القمار .

### ٥ - عبد الله بن الزبير

#### خطبته رضى الله عنهما فى موسم الحج

أخرج الطبرانى فى الكبير عن محمد بن عبد الله الثقفى قال : شهدت حجة ابن الزبير بالموسم ، قال : ما شعروا حتى خرج علينا قبل الشروية يوم - وهو محرم - رجل كهنة كهين جبين ، قائم فقالوا : هذا أمير ستمين ، فزفوا سر وعيه ثوباً أبيضاً ، ثم مدّ عليهم فردوا عليه السلام ، ثم شئ بأحسن لمبة سمعها قط ، ثم حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « إنما بعد ، فكم جنتم من آتوا شئ وفرداً على الله تعالى ، لحق على الله أن يكرم وفده ، فمن جاء يطلب من الله فإن طالب الله لا يخط . فصدقوا فوكم بفعل ، فإن ملائكة القول لمس . راية نية القلوب ، لله الله فى أيمكم هذه . وإني أياكم بغير يد مذنب . حذر من أتى مثل فى حر تجارة ولا صلب من ولا يد ترحون مهدي . ثم شئ وبشر . ونكتة بكلام كبير . ثم قال : أما بعد ، فإن الله عز وجل قال فى كتابه : ﴿ أخرج الذين آمنوا من قبل من ثلاث أشرف وأمر بقعدة وعشر من كل الفضة ﴾ ﴿ فمن لم يأت من إيمان الحق فلا زالت يجر لا جرح ﴾ ولا فسوفى كى . وسبب فى ولا جدال كى . ثم رما فصفوا من غير يملأه الله وغروا فدا روى غير لمراد القلوى . ثم رقال عز وجل : ﴿ ليس عليكم جناح أن تنكروا الزكاة وإن كنتم فى شك مما نزلنا فاستمعوا ما يقول من عرفان من عرفان ﴾ ﴿ فإذا أفقتم من عرفان ﴾ ﴿ فاذكروا من سبق لى بقبول عده حتى تعيب الشمس له لم يفسد منه ﴾ فاذكروا ما عند الله من الخير والبر . ثم قال : وهو خذل الله بفقير - مرده - . ثم واذكروا كما دعاكم الله . ثم قال : ليس من بعد الله لأهل الله كبروا بآيات من جنتهم وبهيم . من من عرفت . فإني شئ من دست فإني : ﴿ ثم يفتش من حول أفانق الناس ﴾ ﴿ من مناسكتكم . قال : وكانوا إذا فرغوا من حجه تفرحوا بالآله . ونزل الله عز وجل : ﴿ فاذكروا الله تذكركم ﴾

آلِهَاتِكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلَاقٍ . وَمِنَهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَلَهُمَا عَذَابٌ أَلِيمٌ . قَالَ : يَعْمَلُونَ فِي دُنْيَاهُمْ لِآخِرِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ ، قَالَ : لَمْ يقرأ حتى بلغ ﴿ وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ﴾ قَالَ : وَهِيَ أَيَّامُ الشَّرِيقِ ، فَيَذْكُرُ اللَّهُ لَهُمْ بِتَسْبِيحٍ وَتَحْمِيدٍ وَتَهْلِيلٍ وَتَكْبِيرٍ وَتَعْجِيدٍ ، قَالَ : لَمْ يَذْكُرْ تَهْلِيلَ النَّاسِ ، قَالَ : تَهْلِيلُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ مِنْ ذِي الْخُلَيْفَةِ ، وَتَهْلِيلُ أَهْلِ الْعِرَاقِ مِنَ الْعَقْبِ ، وَتَهْلِيلُ أَهْلِ لُحْدٍ وَأَهْلِ الطَّائِفِ مِنْ قُرْبَى ، وَأَهْلِ الْيَمَنِ مَن يَلْمَلَمُ . قَالَ : لَمْ دَعَا عَلَى كُفْرَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ فَقَالَ : اللَّهُمَّ عَذِّبْ كُفْرَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ يَمْنَعُونَ بآيَاتِكَ ، وَيَكْذِبُونَ رُسُلَكَ ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ ، اللَّهُمَّ عَذِّبْهُمْ ، وَاجْعَلْ قُلُوبَهُمْ قُلُوبَ نَسَاءٍ فَوَاجِرٍ - فِي دَعَاءٍ كَثِيرٍ ، ثُمَّ قَالَ : إِنْ هَهُنَا رَجُلًا قَدْ أَعْصَى اللَّهَ قُلُوبَهُمْ كَمَا أَعْصَى أَبْصَارُهُمْ ، يَتَّبِعُونَ بِالْمُنْعَةِ بِأَنْ يَهْدَمَ الرَّحْلُ مِنْ خِرَاسَانٍ مُّهَلَّأٍ بِالْحَجِّ ، حَتَّى إِذَا قَدِمَ قَالُوا : أَجَلٌ مِنْ حَجِّكَ بِعَمْرَةٍ ، ثُمَّ أَهْلٌ بِحَجٍّ مِنْ هَهُنَا ، وَاللَّهُ مَا كَانَتْ الْمُنْعَةُ إِلَّا عَصْرًا . ثُمَّ لَبَّى وَلَبَّى النَّاسُ ، فَمَا رَأَيْتُهُ يَوْمًا قَطُّ كَانَ أَكْبَرَ بَاهِكَا مِنْ يَوْمِنَا .

## ٦ - عبيد الله بن مسعود

### خطبة جامعة له رضى الله عنه

أعرج أبو نعيم في الحلية<sup>(١)</sup> عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : إِنْ أَصْدَقَ أَخْبَرْتُ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَوْ لَقِيَ الثَّرَى كَلِمَةَ التَّقْوَى ، وَغَيْرَ الْجَلِيلِ بِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ ، وَأَحْسَنَ السَّنَنِ سُنَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَغَيْرَ الْمَهْدَى هَدًى الْأَنْبِيَاءِ ، وَأَشْرَفَ الْخَدِيثِ ذِكْرُ اللَّهِ ، وَغَيْرَ الْقَصَصِ الْقُرْآنَ ، وَغَيْرَ الْأُمُورِ عَوَاقِبَهَا ، وَغَيْرَ الْأُمُورِ مَحْدَاتِهَا ، وَمَا قُلْتُ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَهْلَى ، وَنَفْسِي تَنْجِيهَا خَيْرٌ مِنْ إِمَارَةٍ لَا تَحْصِيهَا ، وَغَيْرَ الْعَذِيلَةِ حِينَ يَحْضُرُ الْمَوْتُ ، وَغَيْرَ التَّدَامَةِ لِلدَّامَةِ الْقِيَامَةِ .

(١) حلية الأولياء ( ١ / ١٣٨ ) .

وشر الضلالة الضلالة بعد الهدى ، وخير البغى غنى النفس ، وخير الزاد التقوى . وخير ما ألقى في القلب اليقين ، والرَّيْبُ مِنَ الْكُفْرِ . وشر المعنى عمى القلب . والحمر يجمع كل إثم ، والنساء جبالُ الشيطان ، والشباب شعبة من الجحيم . والنُّوحُ مِنْ عَمَلِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَمِنْ النَّفَاسِ مَنْ لَا يَأْتِي الْجَمْعَةَ إِلَّا ذُرًّا وَلَا يَذْكُرُ إِلَّا هَجْرًا ، وَأَعْظَمُ أخطاءِ الْكُذِّبِ ، وَمَسَابِغُ تَوْمَنِ نَسْرَقَ ، وَنَتَالَهُ كُفْرَ . وَخُرْمَةُ مَالِهِ كَحُرْمَةِ دَمِهِ ، وَمَنْ يَهْفُ يَهْفُ اللَّهُ عَنْهُ ، وَمَنْ يَكْظُمُ الْغَيْظَ يَأْخُذْهُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَغْفِرْ يَغْفِرْ اللَّهُ لَهُ ، وَمَنْ يَصْغُرْ عَلَى الرُّبُوبِيَّةِ يَعْقِبْهُ اللَّهُ ، وَشَرُّ الْفَكْرِ كَسْبُ الرِّبَا ، وَشَرُّ الْمَأْكَلِ مَالُ الْيَتِيمِ ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وَجَّهَ بَغْيَهُ وَالتَّقَى مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ، وَإِنَّمَا يَكْفَى أَحَدَكُمْ مَا فَتَعَتْ بِهِ نَفْسُهُ ، وَإِنَّمَا يَصِيرُ إِلَى أَرْبَعَةِ شَرَحٍ وَالْأَمْرُ إِلَى آخِرِهِ ، وَمَلَكَ الْعَمَلِ خَوَاتِمُهُ . وَشَرُّ لُزُومَاتِ رِوَايَةِ الْكُذِّبِ ، وَأَشْرَفُ الْمَوْتِ قَتْلُ الشَّهْدَاءِ ، وَمَنْ يَعْرِفُ الْبِلَاءَ يَصْبِرْ عَلَيْهِ ، وَمَنْ لَا يَعْرِفُهُ يَنْكَرْ . وَمَنْ يَسْتَكْبِرُ يَضَعُهُ ، وَمَنْ يَتَوَلَّى الدُّنْيَا تَعْجِزْ عَنْهُ ، وَمَنْ يَضَعُ الشَّيْطَانَ يَعْصِي نَهْيَهُ ، وَمَنْ يَعْصِي اللَّهَ يَهْدِيهِ هَدًى .

اللهم علِّمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علِّمنا ، وادِّعنا عِزًّا

اللهم آت نفوسنا تقواها وركِّها أنت خير من رَكَّاهَا ، أنت وليُّهَا ومولاهَا

اللهم بعدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إِلَّا أنت . وصرف عني شرَّ الأخلاق لا يضرُّني عنها سيِّئها إِلَّا أنت . يهلك وسعديت وخير كله في يديت والشَّرُّ لَيْسَ إِلَهَكَ ، وَالْمَهْدَى مِنْ هَدْيِكَ ، أَتَا بِكَ وَتِلْكَ . لَا مَجَاوِلَا مَحْدَمَتِ إِلَّا إِلَهَكَ ، بَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

عبد الحميد كشك